

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
-جامعة مولود معمري- تيزي وزو  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم العلوم الإنسانية  
شعبة: تاريخ



## الوافدون الى الجزائر وتأثيرهم على الحياة الثقافية خلال العهد العثماني

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الجزائر الحديث  
1519م - 1830م.

إشراف الدكتور:  
سليم بعلوج.

إعداد الطالبة:  
رادية منصور.

:السنة الجامعية  
2024م / 2025م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
-جامعة مولود معمري- تيزي وزو  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم العلوم الإنسانية  
شعبة: تاريخ



## الوافدون الى الجزائر وتأثيرهم على الحياة الثقافية خلال العهد العثماني

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث  
1519 - 1830م

إشراف الدكتور:

سليم بعلوج

إعداد الطالبة:

رادية منصور

الصفة	الرتبة	إسم واللقب
رئيسا	أستاذ محاضر -أ-	فرحات لاصب
مشرفا ومقررا	-أستاذ محاضر -أ-	سليم بعلوج
مناقشا	--أستاذ مساعد -أ-	رشيد مريخي

السنة الجامعية: \_\_\_\_\_

2024م/2025م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

ما سلكنَا البدايات الا بتسييره وما بلغنا النهايات الا بتوفيقه وما حققنا الغايات الا بفضلِه فالحمد لله الذي وفقْتني لتتَمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية.

اهدي تخرجي وفرحة عمري

الى من أحمل اسمه بكل حب الى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم  
إلى النور الذي أضاء دربي إلى العزيز،  
معلمي الأول والدي الغالي.

الى اليد الخفية والقلب الحنون وصاحبة الدعاء الصادق الى ملجئي ويدي اليمنى الى  
من ابصرت بها طريق حياتي،  
والدتي الغالية.

الى من ساندي بكل حب عند ضعفي، وازاح عن طريقي المتاعب، الى من زرع الثقة  
والإصرار بداخلي، الى من شد الله به عضدي، أسأل الله ان يديمك نورا في حياتي،  
أخي الغالي.

والى من وهبني الله وجودهم، الى مصدر قوتي وارضي الصلابة، وجدار قلبي المتين في  
اوقاتي الصعبة، نبض قلبي وسندي في هذه الحياة، كنتن دائما العون بعد الله.  
أخواتي الغاليات.

إلى من كان يتمنى أن يراني أستاذة ترفع الرأس فغادر الدنيا قبل أن يتحقق الحلم  
جدي الحنون رحمة الله عليك.

إلى أولئك اللواتي كن وما زلن زهرة أيامي، إلى من تشاركن الضحكة والدمعة، العثرات  
والنجاحات، إلى صديقاتي اللواتي كن لي سندا ودعاء وأمانا.  
أهديكم ثمرة جهدي وقطعة من قلبي.

## شكر والتقدير.

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، والصلاة والسلام على أشرف المسلمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من كان له دور في إنجاز هذه المذكرة، أخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور سليم بعلوج الذي أشرف على هذا العمل، وهذا من خلال توجيهاته الدائمة لي وصبره، ودعمه، المتواصل، والذي كان له الأثر الكبير في إخراج هذا العمل .

كما لا يفوتني أن أشكر كافة أساتذة التاريخ في جامعة مولود معمري عامة، وأساتذة تاريخ الجزائر الحديث خاصة، الذين كان لهم الفضل في توجيهي طيلة المشوار الجامعي. وكذلك زملائي الذين شاركوني هذه الرحلة.

وأيضاً أشكر عائلتي أبي، أمي، أخي، أخواتي، على دعمهم وتشجيعهم لي.

لكم جميعاً كل الشكر والتقدير، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به.

نسأل الله العافية والتوفيق.

رادية منصور.

# المقدمة

تعد الجزائر من الدول التي لعبت دورا مهما في الحوض المتوسطي، سواء من حيث موقعها الجغرافي الإستراتيجي أو من حيث غناها الثقافي والحضاري وتنوعها الاجتماعي. وقد شهدت البلاد خلال تاريخها الطويل موجات متعددة من الهجرات الوافدة، أثرت بشكل مباشر وغير مباشر على مكونات المجتمع، وعلى مختلف مناحي الحياة، خاصة خلال العهد العثماني، الذي امتد لأكثر من ثلاثة قرون (1519-1830م).

عرفت الجزائر خلال هذه الفترة توافد العديد من الفئات الاجتماعية التي حملت معها عاداتها وتقاليدها، وأسهمت في إثراء النسيج الاجتماعي والثقافي والعمراني للبلاد.

لقد شكل وجود هذه الجماعات بإيالة الجزائر إحدى الظواهر اللافتة التي ميزت المجتمع الجزائري آنذاك، حيث تنوعت خلفيات الوافدين بين السياسي والعسكري والديني والاقتصادي. وكان من أبرز هؤلاء الوافدين: الأندلسيون والعثمانيون.

العثمانيون الذين بدأت تعرف المنطقة حضورهم كان في إطار حماية الجزائر من الأطماع الإسبانية أولا ثم ربط الجزائر بالخلافة الإسلامية العثمانية وصولا إلى إدخال تنظيم البلد في بعض المجالات لعل أبرزها، نظام الحكم.

وبالنسبة للفئة الثانية وهم الأندلسيون؛ الذين فروا من الاضطهاد الذي مورس عليهم من قبل الحكام بعد سقوط ممالكهم في الأندلس، فهؤلاء استقروا في بعض المدن الجزائرية الكبرى.

إضافة إلى هاتين الفئتين وجد بالجزائر فئات أخرى؛ على غرار أهل الذمة من يهود ونصارى، الذين عاشوا في ظل الخلافة العثمانية ملتزمين بالقوانين العامة للبلاد.

إن وجود هذه الفئات بإيالة الجزائر لم يكن مجرد إقامة عابرة، بل كان لها حضورها الفعال في المجتمع، حيث تركت بصمات واضحة على عدة مجالات منها الحياة الثقافية والفكرية، برزت إسهاماتهم في تطوير البنية العمرانية، وتشكيل نسيج اجتماعي متنوع، ظهرت معالمه في العادات والتقاليد والمعاملات اليومية.

وهو ما يجعل من هذا الموضوع مدخلا مهما لفهم تركيبة المجتمع الجزائري في العهد العثماني، وتطوراتها على المستويات الحضارية والثقافية.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من تاريخ الجزائر ظل إلى حد ما في الهامش، ولم يتناول بكثرة في الدراسات الجامعية، خاصة من زاوية تأثير الوافدين على الحياة الثقافية والعمرانية، إذ لطالما ركزت الدراسات التاريخية على النخب السياسية أو الصراعات العسكرية، بينما ظل الجانب الاجتماعي والثقافي مهملا.

كما تسمح هذه الدراسة بفهم الكيفية التي تشكل بها المجتمع الجزائري في العهد العثماني، وكيف ساهمت الهجرات الوافدة في إعادة رسم ملامحه، من خلال ما أدخلته من عناصر جديدة، سواء على مستوى اللغة أو اللباس أو المعمار أو النشاط الاقتصادي، وحتى في المجال الديني والتربوي.

ولدراسة هذا الموضوع كان عنوانه على الشكل الموالي:

**الوافدون الى الجزائر وتأثيرهم على الحياة الثقافية خلال العهد العثماني.**

جاء اختيارنا لهذا الموضوع بناء على عدة اعتبارات منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، أخصها فيما يلي:

- الرغبة في تسليط الضوء على البعد الحضاري والإنساني في التاريخ الجزائري؛ والذي من أبرز سماته التعايش الثقافي والتنوع البشري.
- الاهتمام بتاريخ الجزائر في الحقبة الحديثة (1519-1830) من زاوية تختلف نوعا ما عن السرد السياسي والعسكري المعتاد.
- قلة الدراسات الأكاديمية (في حدود اطلاعي) التي تناولت تأثير +الفئات الوافدة على الحياة الثقافية في الجزائر.
- الإشارة إلى أن كثيرا من المعالم الثقافية والعمرانية في بعض المدن الجزائرية الكبرى ترجع جذورها إلى هذا التلاقح بين السكان الأصليين والوافدين.
- توافق الموضوع مع تخصصنا الأكاديمي وهو تاريخ الجزائر الحديث مما يسهم في إثراء رصيدنا المعرفي والبحثي.

يطرح موضوع الوافدين إلى الجزائر خلال العهد العثماني بوصفه مدخلا لفهم تلكم التحولات سواء الثقافية أو العمرانية التي شهدتها الجزائر خلال الحقبة الممتدة ما بين سنتي 1519 و1830. وتكمن الإشكالية الأساسية في البحث عن الكيفيات التي أثر بها توافد الجماعات المختلفة التي استقرت بالجزائر خلال الفترة المدروسة، وعلى رأس هذه الجماعات: الأندلسيون والعثمانيون، وهذا في إطار بنية المجتمع الجزائري، لا سيما على المستوى الثقافي. ومن ثمة، فإن التساؤل المركزي يتمحور حول: مدى إسهامات الوافدين في إعادة تشكيل الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وما أبرز المجالات التي برز فيها هذا التأثير، خصوصا فيما يتعلق بالجانب العمراني وكذا المؤسسات التعليمية والدينية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، طرحنا مجموعة من الأسئلة الفرعية التي ساعدتنا في تفكيك الموضوع، وهي على الشكل التالي:

• ما هي الظروف التي صاحبت توافد مختلف الفئات إلى الجزائر خلال العهد العثماني؟

• ما الخصائص الثقافية التي حملها كل من العثمانيين والأندلسيين على الجزائر؟

• كيف تجلّى تأثير هذه الفئات في الحياة الثقافية الجزائرية من حيث اللغة، التعليم، الفنون، والعادات الاجتماعية؟

• ما طبيعة العلاقة بين الوافدين والسكان المحليين؟ وهل أدى هذا التفاعل إلى اندماج ثقافي أم إلى تمايز داخل المجتمع؟

• ما أثر هذا التنوع الثقافي على الهوية الثقافية الجزائرية خلال الفترة العثمانية؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على عدة مناهج تاريخية تساعد في تحليل الموضوع من زواياه المختلفة، وهي:

**المنهج التاريخي:** الذي وظفناه في تتبع الأحداث المتعلقة بتوافد هذه الفئات، وأسباب هجرتها واستقرارها.

**المنهج الوصفي:** الذي استخدمناه لفهم خصائص كل فئة، ووصف تأثيرها على الحياة الثقافية والعمرانية.

**المنهج التحليلي:** اعتمدنا عليه في تحليل بعض نتائج هذا التفاعل بين الوافدين والسكان المحليين، واستخلاص آثاره..

قمنا بدراسة هذا الموضوع وفق خطة كانت على الشكل التالي:

### مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة وملاحق.

تناولنا في الفصل الأول الأوضاع العامة في الجزائر قبيل العهد العثماني، لقد أشرنا إلى أواخر العهد الزياني، ثم ما تلاه من الحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية واحتلال العديد منها، عرجنا بعدها إلى التركيز على الخلفيات التي مهدت لوصول العثمانيين، والتي أساسها الاستتجاد بالإخوة بربروس ثم إلحاق إيالة الجزائر بالخلافة العثمانية، كما سلطنا الضوء على بدايات الهجرة الأندلسية.

خصصنا بعد ذلك الفصل الثاني لدراسة الفئات الرئيسية الوافدة على الجزائر، والمتمثلة أساسا في العثمانيين، الأندلسيين، ثم أهل الذمة؛ اليهود والمسيحيين، لقد حاولنا التعريف بأصولهم، دوافع هجرتهم، وطرق اندماجهم في المجتمع الجزائري.

أما بالنسبة للفصل الثالث فقد عالجنا فيه تأثير هذه الفئات في الجزائر على مختلف جوانب الحياة الثقافية خاصة في مجال اللغة، التعليم، الفنون، العمران، العادات، اللباس، الطعام، وغيرها.

وفي الأخير تضمنت **خاتمة** الموضوع أهم النتائج التي توصلنا إليها، دعمنا هذه الدراسة بمجموعة من **الملاحق** التي تخدم الموضوع؛ كان من أبرزها بعض الصور التي تظهر الملامح الخاصة بهذا التمازج الذي عرفته الإيالة خلال الفترة المدروسة.

إضافة إلى ذلك: ذيلنا الدراسة فهارس كان منها فهرس المواضيع الذي يبسر للقارئ الوصول إلى العناصر التي يبحث عنها في المذكرة.

اعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع.

**أولا المصادر:** بالنسبة للمصادر لعل أبرز ما تم الاعتماد عليه:

**مذكرات خير الدين بربروس،** التي ترجمها محمد دراج، والتي أفادتنا بشكل كبير في الفصل الأول، حيث تمكنا من التطرق الى ظروف قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر، وأهم أعمالهم ومساهماتهم في الدفاع عن السواحل الجزائرية. إضافة إلى دورهم في ربط البلاد بالخلافة العثمانية.

اعتمدنا أيضا على كتاب **وليام سبنسر "الجزائر في عهد رياس البحر"** والذي استفدنا منه خصوصا في الفصل الثالث، يحتوي هذا المصدر على كم هائل من المعلومات خاصة في الجانب الذي قمنا بدراسته؛ حول العادات والتقاليد والاحتفالات التي سادت في الجزائر خلال العهد العثماني، ما ساهم بفهم تأثير الوافدين على الحياة الثقافية في الجزائر.

تظل هذه المصادر من أبرز ما حصلنا عليه من معطيات تاريخية أصيلة، ساعدتنا في بناء الجانب الوصفي والتحليلي لمحتوى المذكرة.

**ثانيا المراجع:** بالنسبة للمراجع أبرز ما استعنا به للتعلم أكثر في الموضوع:

كتاب **دراسات أندلسية للأستاذ: ناصر الدين سعيدوني،** الذي يحتوي على معلومات ثرية حول الجالية الأندلسية، من هجرتها واستقرارها في الجزائر، إلى تأثيرها في شتى مجالات الحياة الثقافية؛ من تعليم وفنون وعادات يومية.

اعتمدنا أيضا على كتاب: **حرب الثلاثمائة سنة، لأحمد توفيق المدني،** والذي ساعدنا في استيعاب الظروف العامة للجزائر قبيل العهد العثماني، إلى جانب ذلك يضم المرجع الدوافع الأساسية وراء قدوم مختلف الفئات الاجتماعية واستقرارها بالجزائر.

ضف إلى ذلك، استفدنا كثيرا من المؤلفات التالية:

**صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي .**



أمين محرز: الجزائر خلال عهد الاغوات"

عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962"

عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر"

كان لهذه المراجع الدور المهم في توسيع فهمنا للبنية الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة خلال العهد العثماني، وخاصة ما يتعلق بتنوع الفئات الاجتماعية، ووضعية السكان المحليين.

كما استعنا بالعديد من المراجع التي ساعدتنا هي الأخرى في بناء هذا الموضوع في مختلف فصوله.

إضافة إلى المصادر والمراجع سالفة الذكر اعتمدنا على مجموعة من الأطروحات والرسائل الجامعية ومن أهمها:

أطروحة الدكتوراه نواصر عبد الرحمان، تحت عنوان "تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1082 . 1246 هـ / 1671 . 1830 م) مقارنة من خلال الوثائق الأرشيفية"، والتي ساعدتنا كثيرا في التعرف على التأثيرات العثمانية في ما يلي: الخط واللغة واللباس والطبخ والعادات والتقاليد.

رسالة الماجستير بن يوسف مفيدة، الموسومة بـ "الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16م/17م)"، أفادتنا هذه الرسالة التي تعرضت باستفاضة كبيرة للجالية الأندلسية كفتة وافدة إلى الجزائر خلال العهد العثماني، وتأثيراتها الثقافية على المجتمع، من لباس ومأكل وألفاظ جديدة أصبحت كثيرة الاستعمال إضافة إلى العادات وبعض التقاليد التي تأثر بها السكان خاصة في المدن.

رسالة الماجستير دكاني نجيب، والتي تحمل عنوان: الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود فعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي. تعد هذه الرسالة مهمة جدا في فهم الأوضاع العامة للجزائر قبل العهد العثماني، بداية من سقوط دولة

الموحدين الى تناحر دويلات المغرب الإسلامي فيما بينها، وصولاً إلى الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ثم الاستتجاد بالإخوة ببروس، إضافة إلى غيرها من الجزئيات الهامة التي تخدم الموضوع.

لم نستغني عن المقالات المنشورة في المجالات العلمية المحكمة؛ فهي الأخرى لها أهمية كبيرة بما تضمنه من معلومات ودراسات أكاديمية جادة ومن ذلك:

مقال محفوظ حني بعنوان: أهل الذمة في إيالة الجزائر بين الاعتراف الديني والحرية الاقتصادية والتأثير السياسي.

مقال بعارسية صباح الموسوم ب: أوضاع المغرب الأوسط في أوائل القرن السادس عشر.

إضافة إلى عدة مقالات والمضمنة في القائمة الببليوغرافية أهم مؤلفيها: حنفي هلايلي، سعيود إبراهيم، نفطي وافية، لزغم فوزية.

استعنا في موضوعنا هذا بمرجعين باللغة الأجنبية وهما:

**.Albert devoux, les édifices religieux dans l'ancien Alger**

**chahrazed chalbi, Manifestations of ottoman influence on the art of music in Algeria**

لقد وفرت هذه المصادر سواء الكتب، الأطروحات والرسائل أو المقالات الجامعية خلفية تحليلية وقراءات متعددة مكنتنا من معالجة الموضوع بشكل متكامل، سواء في الجانب التاريخي أو الثقافي.

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه المنكرة لعل أبرزها:

تشابه المصادر في نقل بعض الأحداث التاريخية وهذا ما جعلنا لا نستطيع التوسع في بعض العناصر.

قلة المصادر التي تتناول الموضوع من زاوية تأثير الوافدين بشكل دقيق.

تشنت المعلومات المتعلقة ببعض الفئات، ما تطلب جهدا كبيرا في التمحيص والتحليل. صعوبة التوفيق بين الدراسة التاريخية والبعد الاجتماعي والثقافي، بسبب تشعب الموضوع.

محدودية المراجع المحلية حول موضوع أهل الذمة وعلاقتهم بالمجتمع المسلم. ورغم ذلك تمكنا من تذليل العديد من الصعوبات وذلك بمساعدة الأستاذ المشرف بمجموعة من النصائح والتوجيهات والإرشادات ومقترحات ساعدتني في إثراء المذكرة.

## **الفصل الأول:**

الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد  
العثماني.

**المبحث الأول:** أوضاع الدولة الزيانية  
في أواخر عهدا.

**المبحث الثاني:** الحملات الإسبانية  
على السواحل الجزائرية.

**المبحث الثالث:** الاستتجاد بالإخوة  
بربروس والالتحاق بالدولة العثمانية.

## المبحث الأول: أوضاع الدولة الزيانية في أواخر عهدها.

تعتبر سنة 1519م منعرجا حاسما وذا أهمية كبيرة في تاريخ الجزائر، ولدلالة على هذه الأهمية لأبد من الرجوع الى الفترة التي سبقتها لدراسة الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك.

بعد سقوط دولة الموحدين تفتت وحدة المغرب الإسلامي وقامت على إثرها دول منفصلة تمثلت في الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، الدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة المرينية في المغرب الأقصى. ولقد اتسمت هذه الدول بالانقسام والفوضى والضعف، وكانت الصراعات والحروب هي لغة التخاطب بينهم، وكان الزيانيون هم الضحايا في أغلب الأحيان.<sup>1</sup>

بعد انهيار دولة الموحدين، أسس يغمراسن بن زيان دولة عرفت بدولة بني عبد الواد او بني زيان متخذة من تلمسان عاصمة لها، وذلك سنة 1235م<sup>2</sup>، وقد كانت حدودها تمتد من بجاية والزاب وورقلة شرقا الى نهر ملوية غربا، الا ان هذه الدولة لم تعرف الاستقرار إلا في فترات قصيرة من تاريخها.

وإذا فصلنا في الحديث عن أوضاع الدولة الزيانية (1235م-1554م) فقد وصفها أحمد توفيق المدني في كتابه حرب ثلاثمائة سنة في ثلاث كلمات: تقهقر، فوضى، وانحلال.<sup>3</sup>

بحيث تميزت أوضاعها الداخلية بالاضطراب السياسي وذلك نتيجة لضعف الملوك، الصراع

<sup>1</sup> - نجيب دكاني، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود فعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/2002، ص. ص 7-8.

<sup>2</sup> - محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 84.

<sup>3</sup> . احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص 64.

حول السلطة بين الأسر الحاكمة<sup>1</sup>، في حين أصبح كل فرد يرى أنه الأجدر بتولي الحكم وعلى الجميع طاعته والانصياع له، فنتج عنه تعاقب الحكام وقصر مدة حكمهم.

وكمثال على الصراع حول السلطة نجد في سنة 1503 عندما جلس السلطان أبو زيان المسعود خلفاً لأبيه أبي عبد الله محمد الثالث (1490-1503) ثار عليه عمه أبو حمو الثالث، واستولى على الحكم وسجن السلطان الشرعي أبا زيان المسعود، بينما فر أخوه السجين المدعو بيحي الثابتي إلى فاس محتماً بالملك الوطاسي محمد البرتغالي (1500-1525) ثم لم يلبث كثيراً إلى أن أعلن الثورة على عمه المغتصب للعرش الزياني، فجهز أبو حمو الثالث جيشه لقتال ابن أخيه ودارت بينهما معركة إلا أنها انتهت دون انتصار أحدهم.<sup>2</sup>

ولقد كان المتنافسون حول السلطة يضطرون إلى الاستعانة بالقبائل المحلية، التي كانت تستغل حاجتهم إليها، لتقلص نفوذهم إلى حد كبير، فاضطرت الدولة إلى تقديم قسط كبير من مداخيلها القليلة إلى تلك القبائل حتى تأمن شرها، مما انعكس سلباً على القدرات العسكرية والاقتصادية، فلم يعد بإمكانها أن تقيم الجيوش النظامية كبيرة العدد ذات التجهيز القادر على إخضاع تلك القبائل.<sup>3</sup>

ومن المؤكد أن هذه الأحوال ساهمت بشكل كبير في إضعاف إمارة بني زيان التي عجزت عن مد نفوذها على كل المنطقة، وهكذا ظهرت حركات استقلالية تزعمها مجموعة من الشيوخ والمرابطين تتفاوت من حيث القوة والانتشار ولعل أقواها كانت إمارة كوكو بجبال جرجرة بقيادة أحمد ابن القاضي<sup>4</sup>، أما الجهة الواقعة بين عنابة والقل فقد سيطر عليها الشيخ الحفصي وقد

<sup>1</sup> - عبد القادر فكائر، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 10هـ/16م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص31.

<sup>2</sup> . محمد دراج، مرجع سبق ذكره، ص-ص 91-92.

<sup>3</sup> . عبد الكريم شوقي، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وظروف انطوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2021، ص . ص397-398.

<sup>4</sup> . احمد توفيق المدني، مرجع سبق ذكره، ص . ص 68-69.

سيطر الداوودة على الزاب والحضنة وظهرت دولة في واحات الريخ<sup>1</sup>، اما المدن الأخرى فمدينة الجزائر كانت خاضعة لمدة طويلة لتلمسان ولكنها استسلمت فيما بعد للحفصيين وأصبحت تدفع لهم الضريبة السنوية مقابل تسيير حكمها من قبل مشيخة المدينة التي كانت خاضعة لأسرة الثعالبة، أما مدينة بجاية فكانت شبه مستقلة و كانت تعاني من صراع داخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة، وقد كسبت هذه المدينة ثورة طائفة وبصفة مستقلة من التجارة الواسعة التي كانت تتعاطها مع الإيطاليين، وكانت هناك قبائل أخرى لم تستعرف بسلطة الزيانيين عليها أمثال شرشال ومليانة، أما تنس فكانت أوضاعها تشبه أوضاع مدينة بجاية، أما مدينة وهران فقد كانت في عدا مع ملك تلمسان.<sup>2</sup>

وقد كانت هذه الأخيرة تحت سيطرة قبيلتي السويد وبني عامر، اما منطقة زاووة الشرقية (بجاية) فكانت تهيمن عليها عائلة آل المقراني، أما قبيلة الثعالبة فكانت منذ القرن 14م، تحكم مدينة الجزائر<sup>3</sup>، ولقد كانت هذه الامارات متناحرة فيما بينها، حتى انه هناك من بين هذه القبائل أو القادة المحليين من تحالف مع الاسبان ضد الدولة الزيانية<sup>4</sup>. ولقد كان الملوك الزيانيون في هذه الفترة لا يفكرون إلا في كيفية إحباط المؤامرات التي تقوم بها القبائل التي سئمت من العجز والطغيان، ولم يبقى لأمرء هذه العائلات المالكة من السلطة إلا اسمها طول قرن كامل، هذا ما أدى الى انتشار الفوضى في كل أرجاء الدولة الزيانية.<sup>5</sup>

1. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1830.1520، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017.2018، ص4.

2. ميمن داوود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية " تنظيمه وعدته" 1830.1518، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015.2016، ص. ص 12.13.

3. عبد القادر فكائر، مرجع سبق ذكره، ص ص 31.32.

4. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص

46.

5. أحمد توفيق المدني، مرجع سبق ذكره، ص 67.

ولم تقتصر هذه على الأوضاع الداخلية فقط بل انما شملت الأوضاع الخارجية، اين عاشت صراعات ونزاعات دائمة، وغالبا ما كان سكان تلمسان هم الضحية، حيث وجدوا أنفسهم بين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، وكان كل طرف يسعى للسيطرة والتوسع على حساب الآخر، وعلى الرغم من نجاح الزيانيين في الحفاظ على ملكهم لثلاثة قرون، الا ان عرشهم تعرض لهزات عديدة، خاصة من قبل المرينيين الذين نزعوا منهم السلطة عدة مرات<sup>1</sup>.

كانت الصراعات بين هذه الدول تدفع الحفصيين أحيانا نحو فاس بينما توجه المرينيين في أوقات أخرى نحو تونس، وظلت دولة بني زيان عالقة بين الطرفين تارة تميل إلى هذا الطرف وتارة إلى ذلك<sup>2</sup>.

نتيجة للظروف الداخلية التي تعيشها الدولة الزيانية استطاع ملوك تونس وملوك بني مرين من زراعة الفتن فيها، وقد اكتفوا أحيانا بدعم الطامعين من أفراد العائلة الحاكمة من الوصول إلى العرش، وكانوا يشجعونهم من التمرد ضد الحاكم القائم، وعلى سبيل المثال لجأ أبو زيان محمد إلى حكومة تونس طلبا للمساعدة، فتوجه حاكم تونس بحملة عسكرية وهاجم مدن الجزائر و متيجة وتنس ومليانة وغيرها، واستولى عليها سنة 1438م<sup>3</sup>.

أما المرينيون فقد تدخلوا في تلمسان عدة مرات لكن هدفهم لم يكن احتلالها بقدر ما كان السعي إلى تنصيب أفراد زيانيين موالين لهم ولم تنعم تلمسان بالاستقرار والتخلص من التهديد المريني إلا مع مطلع القرن الخامس عشر ميلادي حين تمكن السلطان أبو مالك عبد الواحد من مطاردتهم حتى فاس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>. للمزيد أنظر: صالح حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006.2007.

<sup>2</sup>. احمد توفيق المدني، مرجع سبق ذكره، ص 65.

<sup>3</sup>. فكاير عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 33.

<sup>4</sup>. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، دمشق، 1969، ص12.

هكذا ظلت الدولة الزيانية في الصراع تارة مع المرينيين وتارة أخرى مع الحفصيين أو مع القوتين معا أحيانا، بالإضافة إلى الصراعات الداخلية حول العرش، حتى ظهور الاسبان ثم العثمانيين في المغرب الأوسط، فدخلت هذه في صراع مع الاسبان إلى غاية التحاقها بالدولة العثمانية.

أما الوضع الاقتصادي فإن جل المصادر والمراجع اتفقت على ان الأوضاع الاقتصادية في الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي قد مالت الى التأزم نتيجة الأوضاع السياسية التي تعيشها من غزو خارجي وتفكك داخلي، مما جعل الأمور تضطرب في كل أنحاء البلاد الى حد كبير، وكان لذلك أسوء الآثار على مختلف الأنشطة الاقتصادية سواءً الزراعية، او الصناعية، او التجارية.

فقد أصيب الجانب الزراعي في الصميم حيث هجر الكثير من الفلاحين أراضيهم نتيجة اضطراب الأمن بعد تزايد الأخطار الداخلية والخارجية، وما يدل على التدهور الزراعي هو ان معظم المدن والمناطق كانت مهددة بالجوع لعدم اكتفاء المحاصيل الزراعية لحاجة السكان، فإن انعدام الأمن في الطرق والأرياف والأسواق أدى الى هجرة السكان من منطقة الى منطقة أخرى، وافتقار للمناطق الخصبة، واسهم أيضا في غياب الاطمئنان لدى العاملين في قطاع الفلاحة مما أفقدهم الاستقرار في ملكيتهم للأراضي، هذا التدهور ألحق الضرر بالقطاع وقد تسبب في تدهور أحوال الفلاحين، أما فيما يخص الصناعة فمن الغير الممكن الحديث عن وجود الصناعة بالمعنى التقليدي، بل الأصح هو الحديث عن وجود بعض الحرف والصناعات التي تتسم بالبساطة مثل حرف النسيج الخاصة بالزرابي والحياكة والأقمشة، بالإضافة إلى الحرف التي تخص الصناعة الأدوات البسيطة التي كان الفلاح في حاجة إليها مثل صناعة اللجام للخيول وسكك المحراث والمناجل وغيرها بالإضافة إلى صناعة الأواني الفخارية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> صباح بغارسية، أوضاع المغرب الأوسط في أوائل القرن السادس عشر، مجلة عصور الجديدة، عدد 25/24، جامعة وهران 1، احمد بن بلة، الجزائر، أكتوبر 2016، ص 125.

أما التجارة فقد كانت تجارة داخلية وخارجية.

أولاً: التجارة الداخلية فلقد تأثرت بسبب اعتماد السكان على الرعي مما جعلهم غير مهتمين بالتبادل التجاري باستثناء بعض المدن التي ارتبطت بالأسواق الصحراوية كما ازدهرت تجارة القوافل نحو السودان، لكنها تعرضت لاحقاً لاضطرابات بسبب الغارات الإسبانية.

ثانياً: التجارة الخارجية شهدت تحولات كبيرة نتيجة الاكتشافات الجغرافية، التي فتحت طرقاً جديدة للتبادل التجاري، خاصة بعد سقوط الاندلس واضطهاد المسلمين هناك كما تأثرت الأسواق المغربية بتوسع البرتغاليين والاسبان، الذين فرضوا سيطرتهم على الموانئ والمنافذ البحرية، مما أثر سلباً على تدفق البضائع والتبادل التجاري بين المغرب وأوروبا، أسهم في تراجع اقتصاد المنطقة. ومن جهة أخرى أدى ضعف الحكام وعدم الاستقرار السياسي إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية مما انعكس على تراجع الإيرادات وتدهور العملة، حيث لجأ الحكام إلى فرض الضرائب والتعامل بالعملة الرديئة لتعويض العجز، مما أدى إلى زيادة الفقر والتدهور الاقتصادي<sup>1</sup>.

ونظراً لما كانت تعيشه الجزائر آنذاك من أوضاع سياسته الاقتصادية نجم عنها تردي الوضع الاجتماعي، فنتيجة الانقسام الداخلي والغزو الخارجي اضطرب الأمن وانعدم الاستقرار مما أدى إلى هجرة قسرية كبيرة من المدن خاصة التي أصابها الغزو الإسباني، بحيث فقدوا فيها منازلهم وأموالهم، ونتج عن هذه الهجرات تضخم سكانها في المدن الداخلية كقسنطينة وغيرها من المناطق الجبلية وقد قابله تراجع السكان في المدن الداخلية بالرغم من استقبالها عدداً كبيراً من المهاجرين الاندلسيين. أما الأوضاع الاقتصادية آنذاك فقد انعكست سلباً بحيث انتشر الفقر والأمراض والأوبئة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> صياح بعارسية، مرجع سبق ذكره، ص ص 126 128.

<sup>2</sup> عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر للهجري السادس عشر ميلادي، ج 1، ط 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2016، ص ص 22 23.

اما بالنسبة للأوضاع الثقافية آنذاك، فرغم ما كان يعيشونه ملوك بني زيان من اضطرابات داخلية وحروب خارجية إلا أنهم عرفوا باهتمامهم بالعلم، فكانوا يقربون العلماء ويرعون الأدباء ويقدرون الشعراء، وحتى انه من كان بينهم من ينظم الشعر ، كما اشتهر بعضهم بالسخاء والكرم، فقد كانوا كثيري العطاء والجزاء، مما أدى أحيانا الى التبذير بسبب رخائهم وكرمهم<sup>1</sup>، ولكن في نهاية العهد الزياني ونظرا للأوضاع المتدهورة السائدة آنذاك فقد أغلقت معظم المراكز التعليمية خاصة المتواجدة في المدن المحتلة وذلك نظرا لهجرة طلابها وعلمائها، باستثناء تلمسان وقسنطينة اللتان استقبلتا عدد من العلماء والطلبة، مع انتشار بعض الزوايا في المناطق الريفية إلا أنها كانت تقدم تعليما دينيا بسيطا<sup>2</sup>.

وبمجمّل القول يمكن أن نقول الحياة الثقافية كانت تعاني مثلها مثل الجوانب الأخرى من الظروف الصعبة السائدة في المغرب الأوسط أو ما يعرف الجزائر حاليا عشية اللاحق بالدولة العثمانية.

1. احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية للطباعة والنشر، الجزائر، 1931، ص 31.

2. عمار بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص ص 24.23.

## المبحث الثاني: الحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية.

لقد شهدت إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي تطورات بارزة كان لها تأثير عميق في رسم مستقبل البلاد، ولم يقتصر هذا التأثير على إسبانيا وحدها، بل امتد ليشمل أوروبا بأسرها، بل وصل صدها إلى منطقة شمال إفريقيا.

فقد كان الدافع الأساسي وراء توحيد الممالك الإسبانية هو انتشار الروح الدينية المسيحية والتي ظهرت بوضوح في الحروب الصليبية. فقد شن الإسبان حروب استرجاع أراضيهم من المسلمين وطردهم من الأندلس، وهذا ما ساعد على تقوية سلطتهم السياسية التي بدأت تتشكل منذ منتصف القرن 13م، مع ظهور مملكة البرتغال. ورغم التنافس والاختلاف بين مملكتي قشتالة والأرغون، بحيث ركزت مملكة قشتالة على محاربة الوجود الإسباني والقضاء عليه. بينما كانت الأرغون تهدف إلى السيطرة على البحر المتوسط من خلال إيجاد منفذ بحري على المتوسط، وذلك كان بالاستيلاء على منطقة برشلونة فقد استولى جاك الأول الأرغواني على جزر البليار وفلانيسيا، ثم السيطرة على إمارة نابولي بعد صراع طويل<sup>1</sup>.

بعدها تجمع المسلمون في الأندلس تحت لواء محمد بن نصر بن الأحمر، واتخذ غرناطة مقرا لمملكة صغيرة سنة 1232م محافظا على الجزء الجنوبي من الأندلس إلى غاية سنة 1492م بعد أن سقطت على يد فرديناند وايزابيلا<sup>2</sup>، فبعد زواج ملك الأرغون فرديناند بمملكة قشتالة ايزابيلا سنة 1469م توحدت المملكتين وظهرت إسبانيا الموحدة ورغم اختلاف التوجهات السياسية لكلا المملكتين لم يمنع من ظهور سياسة إسبانية موحدة متخذة صبغة دينية كاثوليكية

<sup>1</sup>. نجيب دكاني، مرجع سبق ذكره، ص 14.

<sup>2</sup>. احمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م، شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س، ص

## الفصل الأول: الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد العثماني

موحدة، قامت على تحالف متين بين الكنيسة والملك، وهذا من آثار عداوة مع المسلمين في الاندلس ومع سكان المغرب الإسلامي<sup>1</sup>.

بعد حصار غرناطة لمدة تفوق عشر سنوات من قبل ملوك الكاثوليكية مساندا إياهم كل أوروبا المسيحية بالرجال والمال والسلاح، وبعد فرض البابا على المسيحيين ضريبة الصليبية انتهت الحرب بانتصار المسيحيين واستسلام غرناطة في 02 جانفي 1492م. وبعدها خرج ملكها أبو عبد الله الصغير بيكي وينوح وأمه عائشة تقول له: " ابك مثل النساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال وذلك في المكان الذي لا يزال يسمى إلى حد الآن نرفزة الأندلسي الأخيرة وبالإسبانية يسمى EL ULT MO SUSPIRO D'el Moro<sup>2</sup>.

بعد سقوط غرناطة مباشرة، كلفت الملكة إيزابيلا وزوجها فرناندو وملك الأروغون المدعو لورينثو دي باديليا بمهمة سرية وهي الاستطلاع على الأمور والمواقع بالدولة الزيانية أو تلمسان من أجل الإعداد لاحتلالها، وقد أدى هذه المهمة بكل كفاءة ونجاح، بحيث أمضى أكثر من عام في تلمسان منتحلا زي التاجر التلمساني، وبعدها عاد إلى بلده حاملا كل المعلومات الضرورية من أجل الحملة التي كانت بصدد الإعداد لها، فقررت الملكة إيزابيلا أن تبدأ بعملية الغزو مجهزة جيشا مجندا قوامه 12 ألف جندي<sup>3</sup> تحت قيادة الكونت دي بنديليا ( Comte de Pendilla ) الحاكم السابق لغرناطة، ولكن في عام 1504م حدث حادث أدى إلى توقيف العملية مؤقتا وهو موت الملكة إيزابيلا<sup>4</sup>، تاركت وراءها وصية بوجوب احتلال شمال إفريقيا قائلة: ".إني أرجو الأميرة ابنتي (جين) والأمير زوجها (فليب Philip) وأمرها بطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة طاعة تامة وأن يكونا حماتها والمدافعين عنها حسبما يقتضي

1. صالح حيمر، مرجع سبق ذكره، ص

2. نجيب دكاني، مرجع سبق ذكره، ص15.

3. مولود قاسم نايت بلقاسم شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار الامة للطباعة

والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 51.

4. نفسه، ص 55.

واجبهما، وألا يكفا عن متابعة فتح افريقية ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان ..<sup>1</sup> وقبل موتها كانت قد أمرت وأشرفت على عدة عمليات تنصير بحيث منع المسلمون من الذبح على الطريقة الإسلامية، من لبس اللباس الإسلامي ومن ممارسة تقاليدهم وعاداتهم الإسلامية كما أُجبروا على أن تغيير أسماءهم وترك أبوابهم مفتوحة في الجمع والأعياد والمناسبات من أجل مراقبة ما يحدث في بيوتهم وقد أصدرت أيضا قرار تحويل المساجد إلى كنائس ومصادرة الكتب الإسلامية<sup>2</sup>، وغيرها من القرارات التي تدعو إلى محو الدين الإسلامي نهائيا في إسبانيا وتقوم بتنصيرها.

نتيجة للأوضاع المأسوية التي عاشها المسلمون في الأندلس وخاصة في غرناطة قبل وبعد سقوطها فقبل سقوطها عاشت في حرب مع الإسبان لمدة لا تقل عن عشر سنوات محاصرين من كل جهات وبعد سقوطها تعرضوا لأبشع المعاملات وحتى أنهم أُجبروا على ترك دينهم الإسلامي وعدم ممارسته بحيث وضعوا لهم محاكم التفتيش من أجل مراقبتهم ومراقبة بيوتهم فكل من وجدوا عنده إحدى المعالم الإسلامية من سجادة ومصحف وغيرها من معالم الدين الإسلامي يعاقب وهناك من يتعرض للقتل، وهذه الظروف قد أدت بالمسلمين في الأندلس إلى الهجرة إلى سواحل شمال إفريقيا سواء من هاجر بإرادته خوفا من القمع الإسباني وحتى هناك من هاجر إجباريا من الحكومة، فوجدت إسبانيا هذا سببا في احتلال سواحل إفريقيا تحت ما يسمى بحروب الاسترداد.

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد بل كان لإسبانيا أهداف أخرى وراء احتلالها للمدن الساحلية الجزائرية، منها:

- نشر المسيحية في الجزائر وابعاد الحدود الإسلامية عن إسبانيا.

1. محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 13.

2. محمد دراج، مرجع سبق ذكره، ص 44.

## الفصل الأول: الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد العثماني

- إقامة قواعد عسكرية في الجزائر من أجل قطع الاتصال بين الجزائريين والمسلمين الذين بقوا في الاندلس.
- تحقيق سيادة الاسبان على الحوض الغربي المتوسط ولا تتم إلا بغزو السواحل الجزائرية.
- تزعم العالم المسيحي وذلك بزيادة شعبيتهم عن طريق غزوهم لبلد إسلامي.
- السيطرة على المراكز التجارية والأقاليم الغنية بالثروات الحيوانية والمحاصيل الزراعية كعنابة ووهران.
- احتكار التجارة الخارجية للجزائر وفتح طريق منها نحو أعماق افريقيا وخاصة بلاد السودان الغنية بالذهب<sup>1</sup>.

والذي ساعد اسبانيا على تحقيق أهدافها وهو العمل الذي قام به البابا في مدينة روما، فقد وضع كل إصدار البابا أمر يقضي باستمرارية دفع الضريبة الصليبية<sup>2</sup> CRUSADA لملوك اسبانيا من أجل الحرب الافريقية ولم يكتف بهذا فقط بل القساوسة والرهبان ببيع ذخائر الكنائس وكنوزها الثمينة لكي يزودوا الجيوش المسيحية بالمال والعتاد<sup>3</sup>.

إضافة إلى المال الذي قامت الكنيسة بجمعه قد قام الكاردينال خيمينيس Cardinal Ximenes بالتطوع من ماله الخاص من أجل تجهيز الأسطول، فتأمكن من جمع الحملة والإقدام على الغزو الذي استمر بعد ذلك نحو ثلاثمائة سنة<sup>4</sup>.

---

1. عمار بن خروف، مرجع سبق ذكره، ص ص 19. 20.

2. الضريبة الصليبية: هي ضريبة كانت تفرض في أوروبا خلال العصور الوسطى لتمويل الحروب الصليبية التي كانت تشن ضد المسلمين.

3. احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ....., مرجع سبق ذكره، ص 80.

4. نفسه، ص 96.

## 1- احتلال المرسى الكبير 1505م:

عندما أتم فرديناند (Ferdinadus) تجهيز حملته، توجه الأسطول بقيادة الدون ريموند دي (Dominus Raimundus De) قرطبة انطلق من مالطة في أوت 1505م ووصل إلى المرسى الكبير يوم 11 سبتمبر من نفس السنة، وحاصر المدينة لمدة خمسين يوماً، وظلت الاشتباكات مستمرة بينهم رغم اختلال توازن القوى بين الطرفين، ولكن بعد موت قائد حامية المدينة تشاور سكان المدينة أين ذهب رأي الأغلبية إلى متابعة الجهاد، أما الأقلية فكانت ترغب في الاستسلام متحججون أنهم لا يمكنهم مجابهة جيش مكون من 5 آلاف رجل بجيش مكون من 500 رجل، وفي النهاية تقرر مفاوضة الإسبان على شروط التسليم، والتي كان من بينها انسحاب المسلمين في مدة لا تتجاوز 3 ساعات دون أخذ معهم أي شيء، وبعد انسحاب الأهالي من المدينة اقتحمها الإسبان رفعوا راياتهم فيها، وحولوا المسجد إلى كنيسة، عملوا على تحصين المدينة وفتح سوق تجاري بهدف تأمين متطلبات الحامية من جهة ومن جهة أخرى لإقامة علاقات مع السكان، وبهذا الغزو بدأت تشعر أن أهلها في الاحتلال ونشر المسيحية ومحو الإسلام في المنطقة بدأ يتحقق بحيث رخصت لشعبها بإقامة مهرجانات و احتفالات لمدة أسبوع<sup>1</sup>.

وهكذا يكون المرسى الكبير أول مدينة تقع تحت الاحتلال الإسباني، وقد كان لهذا الميناء أهمية بالغة ولقد سماه الرومان بالمرسى الزباني، وذكره الوزان في كتابه قائلاً: "مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة ببضعة أميال عن وهران، ومعناها الميناء الكبير، لأن هناك ميناء ما أظن أكبر منه، يمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة وإعصار، وكان من عادة سفن البندقية أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهرار الجو، وترسل بضائعها في قوارب إلى

1. كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006/2007، ص 4654.

وهران، وإذا كان الجو صحواً قصدت ساحل وهران مباشرة، وقد استولى الإسبان عنوة على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر<sup>1</sup>

بعد احتلال المرسى الكبير، قامت القيادة الإسبانية في الأعداد للمرحلة الثانية من التوسع، حيث شنت حملة عسكرية للهجوم على مسرغين<sup>2</sup> بإغارة مباغتة، وكانت هذه المدينة القريبة من المرسى الكبير، ولا يفصل بينهما إلا طريق سهلي يمر تحت حصون مدينة وهران، ولذلك قرر القائد الإسباني اتباع الطريق الجبلي. غادرت هذه الحملة المرسى الكبير في 06 جوان 1507، وبدأت تحركاتها ليلاً ووصلت إلى هدفها مع حلول الفجر، فأحاطت بالقبيلة واستولت على غنائمها، إلا أن وصول النجدة من القبائل المجاورة غير مجرى الأحداث، فألحقوا هزيمة ساحقة بالإسبان بحيث سقط منهم ما يعادل 3 آلاف قتيل، وكانت هذه أول هزيمة للإسبان في المغرب الأوسط<sup>3</sup>.

## 2- احتلال وهران 1509م:

لقد اعتبر الكاردينال خيمينيس مدينة وهران من أشهر المدن المغاربية لغناها بالأسواق والتجارة وذلك حسب التقرير الذي تلقاه من فيانيلي (Vianellius)، فلذلك عزم على غزوها، وتحت الحاحه أصدر بيان ملكي في ديسمبر 1508 يوافق فيه على غزوها، ولعظمة هذه المهمة شارك في هذه الحملة كبار القادة العسكريين أمثال الكاردينال غونثالبو دي كوردوبا (De Corduba) والون ديبغو دي فييرا (Didacus De Vieira)، ولقد جمع الكاردينال بيدرو نافرو كل القوات العسكرية الإسبانية سواء المتواجدة داخل إسبانيا أو خارجها، انطلق الاسطول يوم 16 ماي 1509 وكان يتكون من عشرة آلاف مشاة وأربعة آلاف حصان وثمانمائة متطوع،

<sup>1</sup>. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 31.

<sup>2</sup>. مسرغين: هي منطقة ريفية تابعة لإقليم وهران خلال العهد العثماني.

<sup>3</sup>. كليل صالح، مرجع سبق ذكره، ص ص 4746.

و عند وقوفهم في المرسى الكبير سمع السكان بالخطر القادم اليهم فاعتصموا المرتفعات المقابلة للمناطق الساحلية الواقعة بين المرسى الكبير ومدينة وهران، وقاموا برميهم بالسهام والحجارة مدافعين عن مدينتهم محتمون بالصخور والمواقع العالية التي كانوا بها، إلا ان عدد وعدة الجيش الاسباني اجبرهم بالرجوع الى المدينة والاحتفاء بأسوارها، وبسبب خيانة احد اليهود استطاع الجيش الاسباني من دخول المدينة من احدى أبوابها، فارتكبوا جريمة بحق السكان، فقد أدت هذه الحملة الى هلاك اكثر من أربعة الاف شخص، واسر اكثر من خمسة الاف، واستولوا على غنائم بلغت قيمتها خمسة الاف أوقية ذهبية. وحول الكاردينال خيمينيس المساجد الى كنائس، وخرّبوا معالم المدينة، وهكذا اصبح الدون دييغو دي فييرا أول حاكم على مدينة وهران<sup>1</sup>.

وبمجرد حلول الاسبان إلى المرسى الكبير ووهران، قاموا بتتصيب إدارة عسكرية تابعة لإسبانيا، واعادوا تسمية المدينتين وسموهم ب "قريسيديوس" وعمورها بالجنود والمواطنين المسيحيين، وقد كانوا يفرضون الضرائب على العرب، وقد اسسوا نظاما ملكيا كما كان في مدريد وسموا قصر الوالي بكورتا شيكا CORTA CHIKA، كما أقاموا نظاما عسكريا يساعدهم على مراقبة سفن بحر الأبيض المتوسط، ثم عملوا على محو الدين الإسلامي من المنطقة واحلال المسيحية محله<sup>2</sup>.

### 3- احتلال مدينة بجاية 1510م:

ما كادت اسبانيا ان تثبت اقدامها بالناحية الغربية حتى وجهت انظارها للناحية الشرقية واخذت تستعد لشن حملة على مدينة بجاية، وقد أسندت قيادة هذه الحملة ليدرو نافرو، وقد خرج اسطوله من المرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509 متجها نحو جزر البليار الاسبانية، اين

<sup>1</sup> . عبد القادر فكايير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية 910-1206هـ/1505-1792م، دار هومة للطباعة والنشر

والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 34.

<sup>2</sup> . كليل صالح، مرجع سبق ذكره، ص 49.

جاء المدد من الاسبان وقضى بها شهر ديسمبر، ثم انطلق ليكمل طريقه من هناك الى مدينة بجاية، ووصلوا اليها يوم 05 جانفي 1510م، عندما لاحظ المسلمون الخطر القادم اليهم استعدوا للدفاع عن مدينتهم ودينهم وميراثهم الحضاري.

فأخذت المدفيعات البجائية والاسبانية تتبادل رمي القذائف لكن اختلاف قوة المدفيعتين كان واضحا جدا، نزل الاسبان في ساحل مدينة بجاية، ودارت بينهم وبين شعب مدينة بجاية معركة، ولقد قسم القائد الاسباني جيشه الى اربع فرق وجعل كل فرقتين منها فيلقا، فأمر الفيلق الأول بتسلق جبل قورايا ليشرف على المدينة من اعلاها، اما الفيلق الثاني فعليه مهاجمة المدينة من الساحل<sup>1</sup>. لكن رغم المقاومة الشديدة السكان فإن المعركة حسمت للإسبان فقد خربوا المدينة وقتلوا اكثر من أربعة الاف وخمسمائة من سكانها، وكان اول ما قام به الاسبان هو بناء قلعة قرب البحر وإصلاح الحصن القديم الذي يطل على البحر، كما قاموا بإطلاق سراح عبد الله وتنصيبه على رأس المدينة مع إعلانه الولاء والطاعة لهم والهدف من ذلك هو اضعاف المقاومة<sup>2</sup>. وهكذا أصبحت بجاية محتلة من قبل اسبانيا سنة 1510م.

### 4- خضوع مدينة الجزائر:

بعد سقوط مدينة بجاية ووهران، توجه وفد مدينة الجزائر برئاسة سليم التومي<sup>3</sup> للاجتماع بقائد الحملة الاسبانية بيدرو نافارو من اجل التفاوض معه لتجنب أن يصيبهم ما أصاب مدينتي وهران وبجاية من حصار وقتل ودمار، واتفقا الطرفان على ما يلي:

- عقد السلام بينهم.

- تعهد الجزائريين بإطلاق سراح الاسرى المسيحيين.

1 . احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة.....، مرجع سبق ذكره، ص ص 120.121.

2 . نجيب دكاني، مرجع سبق ذكره، ص 28.

3 . سليم التومي: شيخ قبيلة الثعالبة التي تتولى إدارة المدينة.

- عدم التعرض للسفن الاسبانية.

- ذهاب الوفد الجزائري الى اسبانيا لعقد اتفاق نهائي مع الملك

- اعتراف الجزائريون بالتبعية لإسبانيا عن طريق دفعهم لحاكم اسبانيا نفس المقدار

الذي كانوا يدفعونه لحاكم بجاية، ومقابل ذلك لا يتعرض الاسبان لمدينة الجزائر<sup>1</sup>.

وأيضاً سلم الوفد الجزائري احدى الجزر الجزائرية المقابلة لميناء الجزائر ولا تبعد عنه سوى 300 متر، وقام الاسبان في هذه الجزيرة التي هي عبارة عن صخرة ببناء حصن فيه ويعرف بحصن البنيون PENON، ووضعوا فيه حامية عسكرية ومدفعية، بغرض التهديد سلطة مدينة الجزائر دائماً.<sup>2</sup>

وبعد خضوع مدينة الجزائر بدأت المدن الأخرى واحدة تلو الأخرى كمستغانم شرشال دلس وغيرها طالبين التبعية والخضوع للملوك الاسبانية رغم قساوة الشروط التي ذكرناها سالفا بالإضافة الى ضرورة تموين المحميات بالمواد الغذائية والماء، وكذا غلق الموانئ في وجه السفن المعادية لإسبان.

اما مدينة تلمسان فكانت بين التبعية والانفصال مع الاسبان فمرة تعلن تبعتها ووفاءها لهم ومرات أخرى تواجههم وتتفصل عنهم، وذلك طيلة النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي. اما مدينة عنابة فقد احتلها بيدرو نافارو اثناء طريقه لفتح تونس وطرابلس، و احتلها دون مقاومة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> . محمد دراج، مرجع سبق ذكره، ص ص114.115.

<sup>2</sup> . محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص 21.

<sup>3</sup> . نجيب دكاني مرجع سبق ذكره، ص 31.

## **المبحث الثالث: الاستتجاد بالإخوة بربروس والالتحاق بالدولة العثمانية.**

لم تتم الفتوحات العثمانية في بلاد المغرب الإسلامي على النفس النحو الذي تمت به في المشرق، فقد كانت توسعات العثمانيين في الشرق نتيجة لحروبهم ضد الصفويين<sup>1</sup> والمماليك<sup>2</sup>، في حين قدموا الى الجزائر بناء على استتجاد السكان المحليين بهم من الغزو الاسباني للحوض الغربي للمتوسط من باب الجهاد ونصرة لإخوانهم في الدين شمل العديد من المدن الساحلية، لذا كان تدخل العثمانيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط من باب الجهاد ونصرة إخوانهم في الدين.

### **1. أصل أبناء يعقوب:**

ويعرفون أيضا بالإخوة بربروس<sup>3</sup> وتعود أصولهم إلى إحدى جزر الروم وهي جزيرة ميدللي<sup>4</sup> MEDILLI. فعندما فتح السلطان العثماني محمد الفاتح هذه الجزيرة ترك فيها عساكرا من اجل حراستها، ومن بين هؤلاء رجل يدعى يعقوب<sup>5</sup> وتزوج هذا الأخير من إحدى بنات النصارى الذميات<sup>6</sup>، ورزق بأربعة أولاد وهم: إسحاق، عروج، الخضر، والياس، بهذا

1. الصفويون: أسرة شيعية أسست دولة في إيران سنة 1501م، جعلت التشيع الإثني عشر مذهباً رسمياً، وكانت على خلاف سياسي ومذهبي مع الدولة العثمانية.

2. المماليك: جنود عبيد من أصول عثمانية أسسوا دولة في مصر وبلاد الشام (1250.1517م)، تميزوا بقوة عسكرية وحكم مستقل قبل أن يسقطوا على يد العثمانيين.

3. بربروس: هو مصطلح إيطالي يعني اللحية (برب) الحمراء (روسا)، وقد أطلقه الأوربيون على أبناء يعقوب بن يوسف "نوي اللحية الحمراء".

4. مدللي: هو الاسم العثماني لجزيرة ليسبوس (LESBOS) الواقعة في بحر إيجه، قرب الساحل الغربي لتركيا حالياً، وتعرف أيضاً باسم مدلي في بعض المصادر العربية.

5. يعقوب: ويعرف ب يعقوب بن يوسف، وقد اختلفت الروايات حول أصله فمنها من يقول يوناني الأصل ومنها من يقول تركي الأصل، وقد كان جندياً في الجيش العثماني في فرقة السباهية.

6. هناك روايات أخرى تقول انها من أصول اندلسية.

الترتيب من الأكبر الى الأصغر<sup>1</sup>، ولقد حرص الاب على تربية أبنائه تربية إسلامية، ولقد اتبع الابن الأكبر طريق العلم والمعرفة، في حين اختار بقية الاخوة طريق الجهاد، وكان عروج هو اول من فتح لهم هذا طريق، فقد ركب البحر وهو في العاشرة من عمره، وبعد فترة تمكن من تجهيز مركبا خاصا به وتولى قيادته بنفسه<sup>2</sup>. واثناء احدى رحلاته تعرض للهجوم من قبل فرسان الرودس، ونتيجة لما فعله هؤلاء الفرسان به وبأخيه، أقسم على منازعة قطاع الطرق المسيحيين، واصطدم بهم مرة أخرى رغم معرفته السابقة لعدم قدرته التصدي لسفنهم، فكانت النتيجة في استشهاد أخيه الياس، ووقوعه بالأسر<sup>3</sup>، وقد تم اسره في بحار الشرق فعمل في المجاديف وهو مقيد لمدة عامين، وفي احدى المرات القى نفسه في البحر وفر الى السواحل المصرية، واثناء محاولته العودة الى جزيرة مدلي كاد ان يسقط اسيرا مرة أخرى، ففر الى سواحل القرمات التركية، بحيث كان يتولى امارتها الأمير كوركود ابن السلطان بيازيد والذي رأى في عروج مثال الجندي المغامر، فأعطاه سفينة للقرصنة وبعثه غازيا الى إيطاليا، اين اشتدت الحرب ضد الإسلام والمسلمين، فاستولى عروج على سفينتين محملتين ببضائع ثمينة تابعيتين لدولة البابا، وسفنا أخرى إيطالية، ثم ادخل تحت لوائه جماعة من المجاهدين الأقوياء، وبعدها عزم ان يتجه الى الجهة الغربية<sup>4</sup>.

1 . مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بريروس، تحقيق وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبية للنشر، 2009، ص ص 4847.

2 . بسام العسلي، خير الدين بريروس والجهاد في البحر (1547.1470م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 27.

3 . عزيز سامح التري، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: د. محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت، 1989، ص 28.

4 . احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة.....، مرجع سبق ذكره، ص ص 158.157.

## 2. ظهور أبناء يعقوب في المحيط الغربي للبحر الأبيض المتوسط:

عندما قرر عروج الذهاب غربا اتجه الى جزيرة جربة<sup>1</sup>، اين التقى هو واخاه خير الدين الذي لحق به هناك ومن هذه الجزيرة اتجهوا الى السلطان الحفصي مقدمين له مجموعة من الهدايا وطالبن منه مكانا يحمون فيه انفسهم وسفنهم قائلين: "تريد ان تفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة كما ندفع لخزينة الدولة ثمن ما تحوزه من الغنائم" فأجابهم السلطان التونسي قائلا: "ان ما تقولونه معقولا جدا، فأهلا وسهلا بكم البلد بلدكم"، وهنا استقر الاخوة بربروس في ميناء حلق الوادي، وقضوا الشتاء هناك وما حل الربيع الا وبدأوا بجهادهم ضد الكفار واستولوا على سفنهم وعادوا الى تونس محملين بالغنائم واعطوا السلطان التونسي حصته وتصدقوا أيضا من تلك الغنائم<sup>2</sup>.

وبعد انتقال الاخوة بربروس الى ميناء حلق الوادي شكل قوة بحرية مؤلفة من ألف بحار، ولكن رغم تعهدهم بإعطاء ثمن الغنائم للسلطان الحفصي الا انهم أصبحوا يشكلون مصدر خوف ورعب لرجال الدولة الحفصية<sup>3</sup>.

وفي نفس الوقت شاع صيت الاخوة بكل ارجاء المغرب العربي وبلاد الاندلس، وأصبحا يمثلان قوة إسلامية عظيمة.

<sup>1</sup> . جربة: هي جزيرة تقع في الجنوب الشرقي لتونس، وتعد اكبر جزر البحر الأبيض المتوسط في شمال افريقيا، تبلغ مساحتها حوالي 514كلم، استخدمها الاخوة بربروس كمركز انطلاق في بدايات ظهورهم في البحر الأبيض المتوسط.  
<sup>2</sup> . خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 4746.

<sup>3</sup> . قسول عبد الحميد، اسهامات خير الدين بربروس (1518. 950924/1543هـ) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق الدراسات الحديثة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 08، العدد01، 2023، ص 62.

## 3. جهود أبناء يعقوب في طرد الإسبان من الجزائر:

ان قدوم الاخوة بربروس الى الجزائر لم يكن تطوعا منهم بل جاؤوا بعد استنجد الجزائريين بهم، وأول من استنجد بهم هم علماء واعيان مدينة بجاية، وقد لبَّ الاخوة النداء ونظموا حملة للهجوم على القلعة أي مدينة بجاية.

هاجم عروج القلعة ودارت بينه وبين الاسبان معركة حميمة اين فقد الاخوة بربروس ستين شهيدا وعددا كبيرا من الجرحى وبينهم عروج الذي أصيب في ذراعه الايسر، فحاول الاسبان استغلال الامر وخرجوا من القلعة من اجل مهاجمتهم، فقام بأسوار القلعة، وبسبب جروح عروج البليغة اضطر خير الدين للعودة الى تونس حاملا معه مائة وخمسين أسير، وعندما حاول الجراحون تنظيف جرح أخيه عروج لم يجدوا حلا سوى قطع ذراعه<sup>1</sup>. ولكن هذا لم يوقفه بل أكمل سيره في الجهاد في سبيل الله أولا ثم في سبيل الإسلام والمسلمين.

رغم فشل عروج في تحرير مدينة بجاية الا انه أدرك مدى القوة اسبانية ومدى تحصينهم لمدينة بجاية، واكتشف مدى بعد قلعة حلق الوادي عن بجاية وانه يجب عليه الاقتراب منها ويشكل قاعدة جديدة يمكنه اللجوء اليها، فقرر فتح قلعة جيجل<sup>2</sup> التي تبعد عن بجاية بحوالي 102 كلم غربا، ورغم عدم وجود أي أهمية لمدينة جيجل سواء سياسيا او اقتصاديا، الا ان عروج اختارها لقربها، قام في سنة 1514م بالهجوم عليها والقضاء على الجنوبيين فيها، ثم ترك بها 50 جنديا و 3 سفن<sup>3</sup>.

في تلك الفترة ارتفعت الاستغاثات من الاندلس وهي تطلب الإنقاذ فاتجه خير الدين إليهم ملبيا أصوات الاستغاثة واقضى على جزر البليار واحتل مينورقة وأخذ اسرى منه ثم عاد متجها

<sup>1</sup>. خير الدين بربروس، مرجع سبق ذكره، ص ص 53.52.

<sup>2</sup>. يجدر الذكر ان مدينة جيجل كانت محتل من قبل الجنوبيين (جنوة احدى الجزر الإيطالية).

<sup>3</sup>. محمد دراج، مرجع سبق ذكره، ص ص 192.191.

الى جبل التي وطد فيها عروج مكانته، حيث التفت حوله قبائل كتامة وبياعوه اميرا عليها، واكمل عروج استعداداته وغادر جبل متجها نحو بجاية من اجل إعادة الكرة مرة أخرى، وذلك كان في شهر اوت من سنة 1514م<sup>1</sup>. أحاط عروج بمدينة بجاية واصطدم بحامياتها بمعارك قاسية وفي نفس الوقت درس موقعها وحاول اكتشاف نقاط ضعفها، وبعد محاولات دامت ثلاثة اشهر، اكتشف ان حصونها قوية لا يمكن اقتحامها بالطريقة التقليدية، فعاد الى مدينة جبل في شهر نوفمبر لقضاء الشتاء فيها<sup>2</sup>. وفي سنة 1515م، أعاد عروج المحاولة للمرة الثالثة من اجل استرجاع مدينة بجاية من ايدي الاسبان الا انها باءت بالفشل، وبقيت تحت السيطرة الاسبانية حتى سنة 1555م اين تم استرجاعها على يد صالح ريس<sup>3</sup>.

بعد موت الملك فرديناند في جانفي 1516، استغل سكان الجزائر ونقضوا المعاهدة التي ابرموها مع الاسبان سنة 1510م، واستجدوا بالإخوة بربروس فأرسلوا لهم وفدا طالبين النجدة، وقد جاء في نص ذلك الاستجداد: "سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، اخذتم بجاية وجبل من ايدي النصارى ونصرتم الدين هنيئا لكم أيها المجاهدون، لا بد ان تقدموا الينا وتخلصونا من ايدي الملائكة الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة"<sup>4</sup>.

اتجه عروج الى مدينة الجزائر، ومعه ثمانمائة عثماني مسلحين ببنادق وثلاثة الاف من اهل جبل والتحق به الفي رجل اثناء انطلاقه، بالإضافة الى 16 سفينة أرسلها بحرا على متنها 500 جندي ومدفعية والبارود والذخيرة، وعندما سمع اعيان مدينة الجزائر بقرب وصول استقباله محتفلين به، الا انه اخبرهم انه عليه الذهاب أولا الى شرشال ثم العودة الى مدينة

1. بسام العسلي، مرجع سبق ذكره، ص 90.

2. احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، مرجع سبق ذكره، ص 168.

3. عبد الحميد بن ابي زيان بن اشنهو، دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص 66.

4. بلقاسم صديقي. توفيق دحماني، الزعمات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي

نموذجاً)، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 22، العدد 01، 2022، ص 181.

الجزائر<sup>1</sup>. والسبب في استيلائه لمدينة شرشال هو وجود فيها منافس له قد يباغته في أي لحظة وهو قارة حسن الذي انشأ امارة صغيرة بشرشال وقد دخلها عروج دون أي مقاومة، وقام بتصفية قارة حسن واخضعها لسلطته، وقبل عودته الى الجزائر ترك بها حامية صغيرة، ثم بعدها توجه الى مدينة الجزائر اين حظي باستقبال لا يحظى به الا الفاتحين<sup>2</sup>، من قبل اعيان مدينة الجزائر وشيوخها وعلى رأسهم سليم التومي شيخ قبيلة الثعالبة.

ما كاد يستقر في مدينة الجزائر ومينائها حتى باشر في التخطيط لتحطيم قلعة البنيون فقام بحفر خندق ونصب مدافعه في مواجهة القلعة واخذ يقصف الحامية الاسبانية ولكن باءت بالفشل ولم يستطع استرجاع القلعة ولكنه حرّمهم من الماء ومواد التموين نهائيا، واعتبرها كمحاولة أولى وكانت في 12 اوت 1516م، وبعد هذه المحاولة قام بتعزيز مكانته عن طريق نشر سلطته على كامل السهول المحيطة بمدينة الجزائر، ورفع راياته فوق اسوار المدن والقلع المحيطة بها، كما صك عملة تحمل شعاره<sup>3</sup>.

عندما قام عروج ببسط نفوذه على مدينة الجزائر ومجاورها شعر سالم التومي انه بدأ يخسر قبيلته وسلطته فبدأ بوضع مؤامرات ودسائس ضد عروج.

وبعد ظهور بواذر التذمر، قام عروج بالتخلص من سليم التومي عن طريق خنقه داخل حمام قصره المسمى الجينية، وبعد ان وجد سليم التومي مقتولا، نصب عروجا نفسه ملكا على مدينة الجزائر<sup>4</sup>، وبعد مقتل سليم التومي ثار الأهالي على مقتل شيخهم، وحاولوا مبايعة ابنه يحيى بن سالم بالتحالف مع الاسبان، حيث اتفقوا معهم على احراق سفن عروج الراسية في

1. فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 25.24.

2. نجيب دكاني، مرجع سبق ذكره، ص 53.

3. كليل الصالح، مرجع سبق ذكره، ص 94.

4. نجيب دكاني، مرجع سبق ذكره، ص 54.

الميناء، عندما يخرج العثمانيون لإخماد النيران يقوم أهالي المدينة بإغلاق أبوابها ويدخلون الاسبان الى المدينة من اجل قتل عروج ومن معه، وصلت انباء هذه المؤامرة الى عروج، فقام اثناء أداء صلاة الجمعة في المسجد امر باعتقال ثمانين منهم وامر بإعدامهم بفتوى من علماء المدينة، وهكذا اخمد هذه الثورة<sup>1</sup>.

وفي أواخر 1516م، قاد الاسبان حملة الى الجزائر من اجل تأديب الاخوين عروج وخير الدين، بقيادة ديبغوا دي فييرا ومعه 35 سفينة مدججة بالأسلحة والمدافع، وحوالي ثمانية الاف جندي، عندما سمع عروج ابتدع خطة حربية وهو ان يترك الجيش الاسباني ينزل برا بكل حرية، وأشار على جيشه ان يبقى داخل الحصون المطلة على البحر على ان يرمي الجيش الاسباني بين الحين والحين، وانطلت الحيلة عليهم، وانقض عروج عليهم بجيشه وقتل اغلبهم، فتعززت مكانته بين الجزائريين، ثم سعا للتوسع نحو المدن الأخرى فأخضع مليانة، المدية، والبلدية، ثم توجه الى تنس اين افتكها من يد السلطان الزياني، ثم كلف عروج اخاه خير الدين بتسيير المناطق الشرقية للجزائر والتي مركزها دلس، ثم توجه هو نحو الغرب لتحرير مدينة تلمسان من يد ابي حمو الثالث الذي تحالف مع الاسبان<sup>2</sup>.

سافر عروج الى تلمسان برا وفي طريقه ترك 600 رجل بقلعة بني راشد<sup>3</sup> لضمان خط عودته، ولما بلغ نبأ ذهاب عروج الى تلمسان، هرب أبو حمو الثالث الى فاس ثم الى وهران، وبعد انهزام جيوشه، اخرج التلمسانيون أبا زيان ابن اخ ابي حمو الثالث من السجن ونصبوه اميرا، وعندما دخل عروج تلمسان تصرف الفاتحين وأخطأ في معاملة اهل تلمسان،

1. محمد دراج، مرجع سبق ذكره، ص ص212.213.

2. ميمن داوود، مرجع سبق ذكره، ص ص19.20.

3. قلعة بني راشد: هي احدى قرى إقليم بني راشد، وتدعى أيضا قلعة هواره، بنيت على مرتفع جبلي، مما أتاح لها مراقبة الطرق المحيطة بها. انظر: حسن الوزان، مرجع سبق ذكره، ص 26.

مما جعل ابي زيان يشكوه من ذلك، فأمر عروج بشنق هذا الأخير، وهذا ما جعل اهل تلمسان يندمون على الاستنجاد به<sup>1</sup>.

وهناك رواية أخرى تقول انه بعدما نصب عروج أبا الزيان المسعود على العرش الزياني في تلمسان عاد الى مدينة الجزائر لكن هذا السلطان الأخير لم يكن راضيا على هيمنة العثمانيين عليه، فقطع الاتصال بهم وخلع طاعتهم وولائهم وهذا هو السبب وراء امر عروج بقتله<sup>2</sup>.

بعد ان استولى عروج على تلمسان، سارع قائد وهران الاسباني الى شن حملة مكونة من 10الاف جندي لإعادة تنصيب أبو حمو الثالث على العرش الزياني، فاتجه أولا الى قلعة بني راشد حيث كان إسحاق ففضوا على القاعدة هناك واستشهد إسحاق، ثم فرضوا حصارا على تلمسان لمدة تقارب ستة او سبعة اشهر، وفي جويلية 1518م، قُتل عروج بمكان ليس بعيدا عن تلمسان، فكانت هذه هي نهاية المجاهد المقاتل والغازي الذي اذهل عقول معاصريه بذكائه وشغفه في نصره الإسلام والمسلمين<sup>3</sup>.

وبعد مقتل عروج في تلمسان بايع أهالي مدينة الجزائر خير الدين سلطانا عليهم، وبعد ما رأى هذا الأخير المؤامرات والفسائس التي يحيكها الزعماء المحليون في المناطق المختلفة من البلاد، اقترح عليهم ان يعرضوا تبعيتهم للدولة العثمانية فيدخلون بذلك تحت حماية سلطانها ويقرأون الخطبة ويصكون النقود باسمه، فوافق اعيان مدينة الجزائر فأرسلوا وفدا برئاسة الشيخ

<sup>1</sup> مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص47.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص ص76-77.

<sup>3</sup> عمريوي فهيمة، ظهور الاخوة بربروس في البحر المتوسط وارتباط الجزائر بالباب العالي، محاضرة مقدمة في إطار المحاضرات المقدمة في مقياس تطور النظام السياسي بالجزائر 1830-1519، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، 2024/2023، ص ص54.

## الفصل الأول: الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد العثماني

ابي العباس احمد ابن القاضي<sup>1</sup> وارسل خير الدين مع الوفد ممثلا يدعى حاجي حسن اغا<sup>2</sup>، حاملين معهم رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول وذلك في سنة 1519م، قائلين فيها: ".... ومفاد ما يريد عبديكم اعلام مقامكم العالي وهو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي، إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة اليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار اذ هدفهم هو النيل ونحن على غاية الضعف، ولهذا ارسلنا الى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي احمد أبو العباس احمد بن القاضي نحن واميرنا خدام اعتابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي، وان المذكور حامل المکتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام. " عندما وصل الوفد الى إسطنبول استقبلهم السلطان العثماني، وقبل عرضهم فأرسل ألفي جندي من قوات سلاح المدفعية وأربعة الاف متطوع من الإنكشارية، وجاء معهم الكثير من المهاجرين العثمانيين، ومنح السلطان للجنود المتطوعين نفس امتيازات الإنكشارية تشجيعا لهم، اما بالنسبة لخير الدين فأرسل له سيفا وخلعة سلطانية وفرمانا يقضي فيه بتعيينه بايلربايا على الجزائر<sup>3</sup>.

وهكذا أصبحت الجزائر ايالة عثمانية وخير الدين اول بايلرباي للجزائر، وظلت هذه الأخيرة تحت الحكم العثماني الى غاية 1830م وخلال هذه الفترة استطاع الحكام العثمانيين استرجاع حصن البنيون ومدينة بجاية ومدينة وهران وغيرها من المدن المحتلة من قبل الاسبان وأسسوا دولة واضحة المعالم والحدود لها نظام سياسي واداري خاص بها.

وفي الأخير يمكننا القول ان الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث فترة مهمة وحاسمة لعدة اعتبارات ففيها عرفت الجزائر مقومات الدولة خاصة بعد ان ظلت هوية الجزائر

<sup>1</sup> . الشيخ ابي العباس احمد ابن القاضي، قاضي مدينة بجاية وملك كوكو، لعب دورا مهما في التمهيد لدخول الاخوة بربروس الى الجزائر، وترأس الوفد الجزائري المبعوث الى الباب العالي لمقابلة السلطان العثماني.

<sup>2</sup> . محمد دراج، تأسيس ايالة الجزائر، مجلة عصور، العدد 17.16، جامعة وهران، ديسمبر 2010، ص 28.

<sup>3</sup> . نفسه، ص 28.

## الفصل الأول: الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد العثماني

الإقليمية غير واضحة المعالم، اثناء انقسام دولة الموحدين وظهور الحفصيين والزيانيين والمرنيين.

## الفصل الثاني: الفئات الوافدة

الى الجزائر خلال العهد العثماني.

المبحث الأول: فئة العثمانيين.

المبحث الثاني: فئة الأندلسيين.

المبحث الثالث: أهل الذمة

## المبحث الأول: فئة العثمانيون.

كانت فئة العثمانيون من بين الفئات الوافدة، وهي مجموعة من الجنود، والضباط، والاداريين، الذين وفدوا من مختلف مناطق الدولة العثمانية إلى الجزائر منذ بداية القرن السادس عشر ميلادي، عقب خضوع البلاد للسيادة العثمانية، شكل هؤلاء الوافدين نخبة حاكمة تميزت بثقافتها العثمانية الإسلامية، وساهموا في تنظيم الإدارة، وتطوير الحياة العسكرية واثروا على الحياة الثقافية والاجتماعية.

تعود أصول العثمانيين إلى قبائل الاغوز التركستانية، بقلب اسيا هاجروا من موطنهم الأصلي من أذربيجان واتجهوا غربا إلى شبه جزيرة اسيا الصغرى (الاناضول)، وكونوا دولتهم في نهاية القرن الثالث عشر 1288م، على حساب الدولة البيزنطية ومن هناك عبروا بحر مرمرا ومضيق البسفور، والدردينل ورموا كل ثقلهم في شرق أوروبا، واطاحوا بالدولة البيزنطية. واستولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الثاني 1453، واتخذوها عاصمة لهم ثم اخذوا يوسعون رقعة دولتهم على حساب الامارات المسيحية النصرانية الأخرى، البلغارية والمجرية والرومانية واليونانية، وفي السبعين سنة التي تلت فتح مدينة القسطنطينية. ركز العثمانيون على تدعيم وجودهم بشرق أوروبا وحاولوا غزو بلاد فارس وسيطروا على بلاد الشام عام 1516م، ومصر عام 1517م، وتسلموا منصب الخلافة الإسلامية وَاخِر الخلفاء العباسيين بها في نفس العام، واكتسبوا بذلك احترام وتقدير الشعوب الإسلامية، وجمع سلاطينهم بين السلطتين الدينية والزمنية.

تتحدّر الاسرة الحاكمة من أصول تركية، وتزعم انتسابها إلى قبيلة الاوغوز التي ينتمي إليها السلاجقة. وخلال تاريخها حافظت على استخدام بعض الرموز والعادات ذات الطابع القبلي التركي، مثل ذيول الخيل التي كانت تستخدم كشعارات للرتب الحكومية. في المقابل كانت اللغة التركية هي اللغة المعتمدة في البلاط الملكي، وقيادة الجيش، وإدارة الدواوين، ومع ذلك لم تكن الدولة تركية بالمعنى العرقي الضيق الذي يقصي الشعوب، ورغم احساسهم بكونهم اتراكا وبأنهم يتكلمون اللغة التركية، إلا ان لفظ تركي لم يستعمل في العصر العثماني الا قليلا،

للإشارة الى رعاة التركمان ثم بعد ذلك الى الفلاحين الجهلة الخشنيين الذين يتكلمون اللغة ويقطنون قرى الاناضول.<sup>1</sup>

منذ بداية القرن السادس عشر ميلادي، بدأت الدولة العثمانية في توجيه اهتماماتها في اتجاه عدة في اوروبا، بلاد الفرس، وفي مياه الجزيرة العربية.

لم يكن التدخل العثماني في شمال افريقيا امرا متوقعا، لا من قبل الأطراف المختلفة، ولا حتى من قبل الدولة العثمانية نفسها، اذ ان اقصى ما كانت تطمح اليه هذه الدولة وتسعى لتحقيقه آنذاك هو اسقاط الدولة المملوكية والاستيلاء على ممتلكاتها، ولم يكن دخولها نتيجة لخطة او تصميم العثمانيين، بل جاء نتيجة لمبادرة اشترك فيها اهل مدينة الجزائر وخير الدين بن يعقوب.<sup>2</sup>

تعد اول نواة لوجود العثمانيين في الجزائر الى تلك المجموعة من الجنود المتطوعين الذين ارسلهم السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519م، عند اعلان تبعية الجزائر للدولة العثمانية، وقد شكل هؤلاء القوة الأساسية التي دعمت خيرالدين في تثبيت جذور الحكم العثماني في الجزائر.

كان العثمانيون يمثلون طائفة مغلقة عن المجتمع الجزائري، متمسكة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي، تخضع لنظام قضائي، ولها امتيازات خاصة، وكانوا يرتدون الثياب المطرزة بالذهب ويحملون السلاح.<sup>3</sup> ارجع ناصر الدين سعيدوني سبب هذه العزلة الى رغبة العثمانيين في الحفاظ على هيمنتها للمناصب الحكومية، وعلى تقاليدهم الخاصة في نظام العيش والسلوك فخورين بإنجازاتهم العسكرية، مقتنعين براتبهم الذي يتقاضونه او بمدخول دكاكينهم وبساتينهم.<sup>4</sup>

1. احمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق القاهرة، 1993، ص ص 3231.

2. محمد خير فارس، مرجع سبق ذكره، ص ص 23.22.

3. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1518م . 1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 357.

4. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م . 1830م)، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 40.

تضم هذه الطبقة الموظفين السامين من السياسيين والإداريين<sup>1</sup>، وأيضا من جنود الانكشارية، وتوزعت على حاميات المدن وثكناتها، ففي مدينة الجزائر كانوا اغليبيتهم في حصن القصبية وبرج النجمة، والبرج الجديد، وبطارية<sup>2</sup> الباب الجديد، وبطارية سيدي رمضان، ومن اشهر الثكنات ثكنة الخراطين، باب الجزيرة، باب البحر، التمارك والعريش واللبنانجية، اما خارج مدينة الجزائر فبلغ عدد الحاميات التي توزعوا عليها خمسة عشر حامية، موزعة على 71 سفرة، منها 10 سفرات بوهران، و5 سفرات في كل من قسنطينة، عنابة، تبسة، بسكرة، بجاية، تلمسان، معسكر، مستغانم، و3 سفرات في كل من مرسى الذبان قرب الجزائر، وسيباو، بوغني، وسوق حمزة(البويرة)، وسور الغزلان، القل، وزمورة<sup>3</sup>.

وقد صنفت المصادر الفئة العثمانية في الجزائر الى صنفين وهما:

**الصنف الأول:** وهم القادمون من الاناضول وباقي أجزاء الدولة العثمانية<sup>4</sup>، كالذين أتوا من الروميلي، ومدن ادرنة، وتيكيرداغ، وملقاره، وسلانيك، ووارنه، وصوفيا، ومن جزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط كمدلي، وكريت، ورودس، وقبرص<sup>5</sup>. وهذا صنف جذبته من المداخل الكثيرة التي كانت تتمتع بها الايالة بفضل الاعمال التي مارسها اسطولها في البحر المتوسط.

**الصنف الثاني:** وهم المسيحيون الذين دخلوا الإسلام فأصبحوا عثمانيين<sup>6</sup>، وعرفوا باسم الاعلاج<sup>7</sup>، وكانوا يتمتعون بنفس امتيازات العثمانيين. وقد أدى ذلك بروز هذا العنصر بقوة داخل صفوف الإنكشارية، الا ان مجال القرصنة ظل النشاط الأبرز والمفضل لديهم، وقد

1. عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 107.

2. بطارية: ويقصد بالبطارية هنا موقع مدفعي مخصص للدفاع عن الباب.

3. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 92.

4. فارس كعوان، فئة الكراغلة في الجزائر العثمانية من الصراع على السلطة الى الادمج مقارنة سياسية اجتماعية (1596م . 1830م)، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023، ص40.

5. امين محرز، الجزائر في عهد الاغوات (1659م . 1671م)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013، ص 142.

6. فارس كعوان مرجع سبق ذكره، ص 40.

7. الاعلاج: هم عناصر أوروبية مسيحية، اغلبهم من الرجال والقليل منهم نساء، جلبوا عن طريق الاسر، ففضلوا الاندماج في الطائفة العثمانية واعتناق الإسلام، وهناك من اتى الى الجزائر بمحظي ارادتهم، فيعتنقون الإسلام ويصبحون اكثر عداءا للمسيحية، انظر: صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 356.

تمكن العديد من الاعلاج من الوصول الى مناصب عليا في السلطة، حيث فرضوا هيمنتهم على صفوف القيادة. كما كان عددهم كبيرا نسبيا ضمن المجتمع الحضري لمدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي والنصف الأول من القرن السابع عشر ميلادي. وفي سنة 1634م، بلغ عددهم حوالي 8 الاف رجل، بالإضافة الى ما بين 1000 و1200 امرأة. غير ان هذا العدد شهد تراجعا تدريجيا توازيا مع الانخفاض الملحوظ في اعداد الاسرى خلال القرن الثامن عشر ميلادي، حتى لم يتبقى منهم سوى ما بين 200 و300 فرد بحلول سنة 1769م<sup>1</sup>. بلغ عدد افراد هذه الجالية العثمانية في الجزائر خلال سنة 1830م، عشرين ألف نسمة<sup>2</sup>، وهناك مصادر أخرى تقول انهم لا يتجاوزون 12 ألف نسمة في سنة 1821م، اما في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي لم يتجاوز عشرة الاف نسمة<sup>3</sup>. وذلك راجع الى حياة العزوبية التي كانت تعيشها اغليبيتهم، وذلك لعدم سماح الحكام العثمانيون لهم بمصاهرة العائلات الجزائرية لغرض التحفظ على امتيازاتهم، وكانوا يعتبرون انفسهم طبقة ممتازة على الغير ويلقبون بالسادة<sup>4</sup>، ولهذا السبب تحديدا، امتنع معظم كبار الموظفين عن الزواج بالجزائريات، وفضل الدايات وقادة الجيش حياة العزوبية منذ سنة 1720م، وحتى انه بعض الجنود الذين اقدموا على الزواج من اسر حضرية، كانوا يفقدون امتيازاتهم بسبب مصاهرتهم للأهالي، وفي بعض الأحيان كان اهل الزوجة هم الذين يسعون الى إقامة علاقات مصاهرة مع العناصر الحاكمة. فيتعرضون للبطش، وتفرض عليهم عقوبات صارمة ليكونوا عبرة لغيرهم، وعلى سبيل المثال السي قدور أحد اعيان مدينة الجزائر دفع حياته ثمنا لتزويج ابنته لاحد العثمانيين<sup>5</sup>. ويعد هذا التحول مخالفا لما كان عليه في المرحلة الأولى من العهد العثماني، حيث كان العنصر العثماني مندمجا الى حد كبير مع الأهالي<sup>6</sup>.

1. امين محرز مرجع سبق ذكره، ص ص147.149.

2. عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 73.

3. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص ص92.93.

4. عمار عمورة. نبيل داوودة، الجزائر بوابة التاريخ: الجزائر عامة ما قبل التاريخ الى غاية 1962م، ج1، دار المعرفة،

الجزائر، 2009، ص ص224.225.

5. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 93.

6. عمار عمورة. نبيل داوودة، مرجع سبق ذكره، ص 225.

كان معظم العثمانيين يفضلون الاعتماد في معيشتهم على المرتبات التي يتقاضونها من خزينة الدولة، أو على ايجار المحلات التي تحمل أسمائهم إضافة الى إيرادات البساتين التي كانوا يملكونها في المناطق التي يقيمون بها. ولا يفوتنا ان نشير الى انهم كانوا يفضلون استقدام أبناء وطنهم من منطقة الاناضول عند الحاجة الى رجال جدد، ويمتنعون عن تشغيل أبناء البلد الا عند الضرورة القصوى. ونتيجة لهذه الممارسات ظلت العلاقة بين العثمانيين وسكان الجزائر تتسم بالجفاف والعداء والنفور، وهو وضع استمر الى غاية مغادرة العثمانيين لأرض الجزائر<sup>1</sup>.

ويمثل هذا السلوك تباينا واضحا مع ممارسات العثمانيين في مناطق أخرى من العالم العربي مثل تونس، ومصر، حيث سعت الاسرى الحسينية في تونس الى تعزيز التقارب والتعاون بين السكان المحليين والحكام العثمانيين، وهو ما حدث أيضا في مصر خلال عهد محمد علي، اذ شهدت تلك الفترة تقاربا ملحوظا بين سكان البلاد والطائفة العثمانية<sup>2</sup>.

وإذا كانت العلاقة بين العثمانيين والأهالي تميزت بالتباعد والانعزال فإن ظهور فئة جديدة كانت ثمرة هذا التعايش المحدود بين الجانبين، وهي فئة الكراغلة، الذين ولدوا من اباء عثمانيين وامهات جزائريات، فمثلوا حلقة وصل اجتماعية وثقافية بين العنصر الحاكم والسكان المحليين.

وإذ كانت العلاقة بين العثمانيين والأهالي اتسمت بالتباعد، فان فئة الكراغلة ظهرت كنتيجة ومباشرة للتزاوج المحدود بين العثمانيين ونساء جزائريات. وتعتبر الكراغلة أبناء لهذا التمازج، اذ ولدوا من اباء عثمانيين وامهات من الأهالي، ما جعلهم أقرب اجتماعيا وثقافيا الى السكان المحليين مقارنة بالعثمانيين أنفسهم. وقد شكلوا طائفة وسطى، احتلت موقعا فوق باقي الطوائف المحلية، لكنها بقيت دون مرتبة العثمانيين من حيث النفوذ والمكانة داخل النظام العثماني<sup>3</sup>.

1. عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

2. المرجع نفسه، ص 74.

3. صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 357.

وقد ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي كانت تحتضن الحاميات العثمانية، مثل الجزائر، تلمسان، ومعسكر، وقلعة بني راشد، ومستغانم، ومازونة، ومليانة، والبيدة، والقلية، وبسكرة، وقسنطينة، وعنابة<sup>1</sup>.

وقد بلغ عددهم في مدينة الجزائر نحو ستة الاف نسمة مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، في حين شهدت مدينة تلمسان تزييدا ملحوظا في اعدادهم خلال الفترة نفسها<sup>2</sup>.

وسجل اول بروز لهذه الجماعة كفئة مستقلة سنة 1596م، عندما اندلعت اضطرابات في بعض احياء مدينة الجزائر خلال هذه الاحداث موقعا واضحا ومعارضيا للعثمانيين، ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر ملامح صراع خفي وطويل الأمد بين العثمانيين وذريتهم من الكراغلة، وما يعكس توترا متصاعدا رغم روابط النسب التي تجمع بين الطرفين<sup>3</sup>، وقد بلغ هذا التوتر ذروته في شكل مواجهات مباشرة خلال السنوات 1626م، 1628م، 1633م، ويبدو ان وضع الكراغلة قد شهد تحسنا بعد احداث تلمسان، اذ سندت اليهم منذ ثلاثينات القرن الثامن عشر بعض الوظائف، خاصة على مستوى الإدارة المحلية. فنجد في بايلك الغرب الباي مصطفى عمر 1736م . 1748م، وفي البايك التيطري نجد الباي محمد الذباح 1768م . 1771م<sup>4</sup>. وقبل هذه الاحداث كانت الكراغلة يشكلون طبقي وسطي ميسورة الحال، امتهن افرادها حرفا مثل النجارة، واختلطوا في مختلف المهن الى جانب المدن، كما تولى بعضهم وظائف إدارية متوسطة في الجهاز الإداري<sup>5</sup>.

عندما دخل العثمانيون الى الجزائر، لم يجدوا ارضا خالية، بل وجدوا مجتمعا متنوعا يضم فئات عديدة كانت قائمة قبل حضورهم، فقد كانت الحواضر تعج بأهل المدن من الحرفيين، والتجار، والعلماء. كما كانت القبائل الريفية تمثل ثقلا اجتماعيا بارزا الى جانب وجود المرابطين والطرق الصوفية والمؤسسات الدينية ذات التأثير الواسع. وقد تفاعلت هذه الفئات المحلية

1 . المهدي بوعبدلي . ناصر الدين سعيديوني، مرجع سبق ذكره، ص 94.

2 . عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

3 . امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 145.

4 . عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م . 1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ

الحديث، ج1، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001/2000م، ص 15.

5 . المهدي بوعبدلي . ناصر الدين سعيديوني، مرجع سبق ذكره، ص 95.

بدرجات متفاوتة مع السلطة العثمانية، مما افرز علاقات معقدة بين الحاكم العثماني والمجتمع الجزائري، واسهم في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية للبلاد.

### 1/ فئة الحضر:

تعني فئة الحضر من الناحية اللغوية الحضور بالمدينة أي السكن بها. ويسمى الحضري بالمديني، وهو ثقافيا، منحصر منذ زمن طويل<sup>1</sup>.

تشكل طبقة الحضر في الجزائر خلال العهد العثماني، والمعروفة أيضا بالبلدية، من مجموعات سكانية مستقرة في المدن، والتي تعود أصولها الى الفترات الإسلامية الأولى، وقد انضم اليهم لاحقا الاندلسيون والاشراف بعد هجرتهم الى الجزائر. وتميز الحضر بعادات وتقاليد حضرية خاصة، الى جانب المكانة الاجتماعية والاقتصادية المميزة، جعلتهم يشكلون طبقة ميسورة ضمن النسيج الحضري، لها حضور بارز في مختلف مظاهر الحياة المدنية<sup>2</sup>. وكانوا يملكون حوالي 2500 بيت في مدينة الجزائر أواخر القرن السادس عشر. كان اغلب الحضر يمتنون التجارة ويمتلكون حوانيت، وكانت المواد الغذائية تمثل النشاط التجاري الرئيسي لديهم، في حين اشتغل بعضهم بالصناعات، وامتلك اخرون بساتين اعتمدوا على منتوجاتها في معيشتهم<sup>3</sup>.

ولقد وصفهم وليام شالر في مذكراته قائلا: "... هؤلاء السكان ابعدهما يكونون عن البربرية التي يصف البعض الجزائريين فإن في سلوكهم لياقة ومجاملة. وانا قد وجدتهم في المعاملات اليومية دائما مهذبين وتمدنين وانسانيين، وانا لم اكشف فيهم حتى اعراض التعصب او الكره للأشخاص الذين لا يدنون دينهم. انهم يدنون الإسلام ويقومون بكل موضبة وإخلاص بالوجبات التي يفرضها عليهم دينهم. ولكن دون مباحاة، او تصنع، ولا يضمرون عداوة

<sup>1</sup>. بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008/2007، ص 122.

<sup>2</sup>. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 97.

<sup>3</sup>. صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 358.

للأشخاص الذين يسلكون طريقا آخر للحصول على رضا الله<sup>1</sup>. ومنه نستنتج انهم كانوا يتحلون بالأخلاق العالية والفاضلة، وكانوا متمسكين بدينهم ولم يكنوا عداوة لغير المسلمين.

وقد شككت هذه الفئة بيئة اندماجية لبقية العناصر الاجتماعية، اذ كانت بعض الفئات الوافدة تتصهر تدريجيا فيها مع مرور الأجيال، فمثلا كان أبناء الكراغلة يعدون ضمن البلدية دون ان يرثوا امتيازات ابائهم<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من الوضعية المريحة التي كانت تتمتع بها هذه الفئة، والامتيازات التي منحها إياهم العثمانيين، الا انهم ظلوا مبعدين عن مواقع السلطة والنفوذ<sup>3</sup>.

## 2/ فئة البرانية:

تكونت هذه الشريحة في المدينة الجزائرية خلال العهد العثماني نتيجة توافد سكان الجبال والصحراء، وقد انتظم الوافدون في جماعات حسب الأصول الجهوية، مثل جماعة البسكرة، الجبالية،... وغيرها. وكان يتصدر كل جماعة امين تعينه السلطة العثمانية، يخضع لنظام الالتزام حيث كان أمناء الجماعات البرانية يدفع كل واحد منهم ضريبة البشماق او الصباط على خزينة الدولة، وكان امين الجماعة البرانية بالمدن الأخرى بالجزائر العثمانية يخضع لسلطة أمين الجماعة نفسها الموجود بعاصمة البلاد "الجزائر"<sup>4</sup>.

ولقد كان وضعهم مختلفا في مجتمع مدينة الجزائر فقد اعتبرت العناصر الوافدة من المناطق الجبلية والصحراوية عناصر برانية<sup>5</sup>، تميزا لها عن سكان المدينة، بينما لم يطلق هذا الوصف على الوافدين من المدن الأخرى مثل المدينة، والبليدة، والقليلة، وشرشال، وقسنطينة، وبجاية، وعنابة، وتلمسان. ويعكس هذا التمييز نظرة المجتمع الحضري تجاه كل من الفئتين، اذ ان الانتماء الى الوسط الحضري من تشابه واضح في العادات والتقاليد، سواء في الملابس، او

1. وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م . 1824م)، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 80.

2. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 149.

3. صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 359.

4. بلبروات بن عتو، مرجع سبق ذكره، ص 126.

5. البرانية: بالعامية الجزائرية، والبراني ينتسب الى البر لأنه اتي من خارج اسوار المدينة.

المأكل، او غيرهما. ولقد اشارت عائشة غطاس الى غياب مصطلح البرانية في المصادر المحلية<sup>1</sup>.

كان البسكريون يشتغلون في الحمامات العمومية، في حين عمل الاغواطيون في جمع ونقل الاوساخ، اما بنو ميزاب فكانوا يتحركون جزاء مهما من النشاط التجاري، ويعدون من مجموعات البراني، اما القبائليون، فكانوا يهيمنون على اعمال البناء، وهي حرفة اكتسبوها من مناطق الجبلية التي اعتمد سكانها على تشييد بيوت الحجارة، ونظرا لقرب بلاد القبائل من مدينة الجزائر، فقد كان عددهم فيها كبيرا<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة الى وجود فئتين اخريتين داخل المجتمع، وهما الاندلسيون، واهل الذمة، لم يتم التطرق اليهما، وذلك نظرا لتخصيص مبحثين مستقلين لكل منهما، سيتم فيها دراسة اوضاعهما وخصائصهما بالتفصيل.

وفي الأخير يمكن القول انه قد شككت فئة العثمانيين أولى النخب الوافدة الى الجزائر خلال العهد العثماني، وقد لعبت دورا مركزيا في بناء النظام الإداري والعسكري للإيالة. غير ان دخول هذه الفئة لم يكن في فراغ، بل وجد مجتمعا قائما تتفاعل فيه محلية متعددة، أبرزها الحضر الذين شكلوا سكان المدن والبرانية الذين كانوا يمثلون فئة القادمين من الأرياف او من المناطق الأخرى. وقد أسهم هذا التداخل بين الوافدين العثمانيين والمجتمع المحلي في خلق تركيبة اجتماعية مميزة، انعكست على طبيعة السلطة، والعلاقات الاجتماعية، والثقافية الحضرية في الجزائر العثمانية.

1 . عائشة غطاس، مرجع سبق ذكره، ص 20.

2 . صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص ص360.359.

## المبحث الثاني: فئة الاندلسيين.

الى جانب الفئات الاجتماعية التي استقرت بالجزائر خلال العهد العثماني برزت فئة الاندلسيين كعنصر مميز ضمن النسيج الحضري، وقد شكل هؤلاء القادمون من الاندلس بعد سقوطها، جماعة ذات طابع خاص، اثرت في الحياة الثقافية والاقتصادية للمدن الجزائرية. مما يستدعي التوقف عند طبيعة هجرتهم وظروف استقرارهم في البلاد في مبحث خاص بهم.

شكل المهاجرون الاندلسيون جماعة متميزة ضمن النسيج الحضري في الجزائر، حيث لجأ عدد كبير منهم الى البلاد هربا من الاضطهاد الاسباني الذي أعقب سقوط غرناطة، اخر معاقل المسلمين في الاندلس سنة 1492م، واستمرت موجات الهجرة الاندلسية نحو الجزائر، خاصة بعد دخولها تحت السيادة العثمانية، مما ساهم في تزايد عدد الاندلسيين بشكل ملحوظ. وقدر المؤرخ هايدو عددهم في الربع الأخير من القرن السادس عشر ميلادي بنحو 1000 دار أي ما يعادل 5000 شخص، ثم تضاعف هذا العدد بعد صدور قرار الطرد الجماعي والنهائي للمسلمين من اسبانيا بين سنتي 1609م و1610م، خلال عهد الملك فيليب الثالث<sup>1</sup>.

يطلق على الاندلسيين أيضا اسم الموركسيين، وهي كلمة اسبانية تعني المسلم الصغير، استعملت هذه التسمية من طرف الاسبان لوصف المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد سقوطها، واجبروا على اعتناق المسيحية، في حين ظلوا متمسكين في دينهم الإسلامي سرا.

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، تحولات كبيرة في موازين القوى، تمثلت في تصاعد نفوذ الممالك المسيحية على حساب الأراضي الإسلامية، فقد استغلت الممالك المسيحية في اسبانيا الضعف الذي دب على الاندلس وبدأت في شن حملات لاستعادة أراضي شبه الجزيرة الايبيرية التي سبق ان فتحها المسلمون ونشروا فيها الإسلام لعدة قرون.

لقد كان للطغيان الاسباني في الاندلس والاعتداءات المتكررة على المسلمين هناك اثر بالغ في تفكيك صفوفهم وزعزعة استقرارهم، كما يرويه التاريخ الاندلسي الحزين. ونتيجة لذلك، بدأ الكثير من الاندلسيين في الهجرة سرا وبشكل متدرج نحو شمال افريقيا، بحثا عن الأمان، وقد

<sup>1</sup>. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 151.

بدأت هذه الهجرات منذ سنة 852هـ/1452م، حيث استقر عدد كبير منهم في المغرب الأوسط، التي أصبحت الوجهة الأهم لهم في تلك المرحلة<sup>1</sup>.

ترتبط الاندلس بالجزائر علاقات قديمة تعود جذورها الى فترة الخلافة الاموية في قرطبة، حيث سعت الى كسب تأييد العشائر الزيانية في المغرب الأوسط لمواجهة التوسع الفاطمي. وقد تعززت هذه العلاقة لاحقا مع توحيد المرابطين ثم الموحيدين الأقاليم الإسلامية في الاندلس وربطها بمناطق المغرب العربي، ومنها الجزائر. وزادت هذه قوة وعمقا مع استقرار اعداد كبيرة من الاندلسيين على السواحل الجزائرية منذ منصف القرن الثالث للهجري<sup>2</sup>.

بعد اختيار الاندلسيين الجزائر كوجهة لهجرتهم وذلك نظرا للقرب الجغرافي، اذ يعد هذا الإقليم الأكثر تشابها معهم في مختلف جوانب المعيشة، وحتى من حيث الأصل والسلالة، كما انه منذ زمن بعيد يستقبل جماعات اندلسية متتالية<sup>3</sup>.

عرفت الجزائر موجات هجرة اندلسية مبكرة سبقت سقوط غرناطة سنة 1492م، والطرده النهائي لبقايا المسلمين سنة 1610م، وتمت هذه الهجرات في مراحل متفرقة.

ويعتقد ان اول هجرة اندلسية واضحة الى الجزائر حدثت بعد سقوط مدينة سرقسطة البيضاء عام 1120م/ 1121م، حيث استقر المهاجرون في المناطق العليا من البلاد. وتتميز هذه الهجرات الأولى، كما أشار معظم المؤرخين الجزائريين، بأنها كانت تضم اسرا مرموقة وشخصيات اندلسية بارزة كان لها تأثير كبير في مختلف المجالات العلمية والاقتصادية، وقد جذبتهم مدينة بجاية خاصة، ومن بين هؤلاء الاعلام نذكر الشيخ الفقيه سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الاندلسي (1126م . 1197م)، المعروف بأبي مدين الغوث، المدفون في تلمسان<sup>4</sup>.

1 . عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1955، ص 178.

2 . ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية: مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الاندلسي بالجزائر، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، 2014، ص 12.

3 . صديقي بلقاسم، هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب 15م . 17م : الدوافع والمراحل، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد05، 2017، ص 94.

4 . مفيدة بن يوسف، الجالية الاندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16م/17م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2010/2011، ص 45.

وثاني مرحلة من هذه الهجرات تأتي بعد سقوط غرناطة 1492م، بعد مغادرة فرناند وايزابيلا لغرناطة اوصيا الحاكم الجديد دي تتدليا don de tendilla، بأن يحسن معاملة السكان المسلمين ويسعى الى التقريب بين الجميع، مما شجع الكثير من المسلمين في البداية على البقاء وشراء ممتلكات الراحلين بأسعار زهيدة. ومع ذلك بدأت مباشرة بعد تسليم المدينة موجة بيع واسعة من قبل كبار المسلمين لأملاكهم لفائدة القادة والنبلاء القشتاليين، مثل أبو عبد الله محمد البنشي، وفاطمة بنت ابي القاسم الابار، أراضيهم عند باب الفخارين للقائد اندريس قلدرون Andrés Calderen، سنة 1492م، وتكررت مثل هذه المعاملات في مناطق أخرى كمرج غرناطة، وعين الدمع، في المقابل، بدأت الاستعدادات لهجرة المسلمين الى المغرب، وغادر عدد كبير من اعيان غرناطة، وعلى رأسهم بنو سراج، مما أدى الى خلو مناطق بأكملها من نخبها، خاصة منطقة البشارات، وهو ما يعكس فقدان المسلمين الثقة في حكامهم الجدد ونظرتهم المتخوفة الى المستقبل<sup>1</sup>.

شهدت الهجرة الاندلسية خلال مرحلة البايبربايات نشاطا مكثفا، حيث نقل القبطان "فينزيانو Veneziano"، وحده نحو الفي اندلسي من مدينة أليكانتي الى الجزائر، كما تمكن كل من صالح رايس Salih Rais، وايدن رايس Ayden rais من انقاذ ستة الاف من مسلمي بلنسية الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد، و اعادوهم الى الجزائر بعد خوض معركة قوية ضد الاسطول الاسباني قرب جزر البليار سنة 1528م، وبرزت كذلك مدينة سلا كمركز قوي للغزو البحري والهجوم على السفن المارة، ولا يمكن اغفال محاولات علج علي Uluç Ali، لاستعادة الاندلس، حيث دعم ثورة البشارات<sup>2</sup>، وجند لها 14 الف من رماة البنادق، وحوالي 60 الف مقاتل من مختلف انحاء الجزائر، خاصة من قبائل زاووة، ليرسلهم الى مستغانم ومزغران تمهيدا لتحرير

1. محمد عبد الله عنان، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص ص311310.

2. ثورة البشارات: Alpujorras، هي انتفاضة قام بها سكان منطقة البشارات الواقعة جنوب غرناطة، ضد الاسبان سنة 906هـ/1501م. انظر: عبد القادر الميلى، تأثير الثورات الموركسيين الاندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية (897. 1017هـ/1492م. 1609م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2013/2012، ص 77.

وهران، ومن ثم يتوجه الى اسبانيا لتحريرها من الحكم المسيحي، الا ان هذه الخطة لا تنطبق بسبب استدعائه المفاجئ من طرف السلطان العثماني<sup>1</sup>.

وحتى هذه الهجرة ضمت اسراً مرموقة وشخصيات بارزة كان لها اثر كبير في الميادين العلمية والاقتصادية، وقد كانت مدينة بجاية في عهدها الحفصي، والناصري من ابرز الوجهات التي استقطبت هؤلاء المهاجرين. ومن بين المدن التي استقرت بها هذه العائلات أيضا مدينة القل، حيث استوطن بها نحو ثلاثمائة اسرة اندلسية قدمت من قشتالة، ومن مناطق الثغور التابعة لمملكة بلنسية، فقد وصفها مرمول كربخال "بمدينة المهاجرين الاندلسيين"<sup>2</sup>.

وبعد هذه المرحلة من الهجرة انتهج الاسبان سياسة حركة الاسترداد وذلك بتعاقب المهاجرين، ونتج عنه استيلاء هذه الأخيرة على السواحل الجزائرية، وسيطروا على المرسى الكبير سنة 1505م، ثم وهران 1509م، ثم توسع الاسبان في احتلال الموانئ الجزائرية، حيث احتلوا مدينة بجاية سنة 1510م، مما دفع المدن الساحلية الأخرى الخضوع لهم، فأصبحت السواحل الجزائرية تحت رحمة الاسبان.

اما المرحلة الثالثة كانت اثر قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك فيليب الثالث Philip 3، عام 1609<sup>3</sup>.

لم تبدأ عملية تهجير الموريسكيين في عهد الملك فيليب الثالث، الا بعد مضي احدى عشر سنة على توليه العرش، حيث كانت حكومة البارما تبحث عن مبرر لاتخاذ قرار النفي، ولهذا روجت السلطات إشاعة مفادها ان الموريسكيين في مملكة بلنسية تعهدوا لحكام المغرب بتوفير 200 ألف مقاتل، وفي المقابل أرسل المغرب 20 جنديا فقط لاحتلال المملكة. في سبتمبر 1609م، وصلت الى ميناء بلنسية 62 سفينة "قادسا"، و14 سفينة "غليون"، على متنها حوالي 8 الاف جندي لتنفيذ مرسوم النفي. ولم يتردد الملك فيليب الثالث، في اصدار قراره القاضي بتهجير الموريسكيين من جميع انحاء المملكة دون استثناء، فصدر المرسوم الرسمي في

1. صالح بن سالم، العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني، ج1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023، ص ص125.126.

2. محمد الامين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، ط1، انتر سينيني، الجزائر، 2007، ص 69.

3. صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 19.

9 ديسمبر 1609م، وبدأت أولى عمليات التهجير في مملكة بلنسية، حيث قدر الباحث ليبري ان عدد الموريسكيين هناك يعادل نصف مجموعهم في الجزيرة الايبيرية، والتي بلغ عددهم في سنة 1609م، نحو 300 ألف نسمة، تم تهجير 275 ألف منهم، ثم توسعت عمليات التهجير لتشمل مناطق غرناطة ومرسيه وباقي الاندلس<sup>1</sup>.

اما المهاجرون الاندلسيون الذين لم يتمكنوا من الإبحار مباشرة نحو السواحل الجزائرية، وخاصة مسلمو مناطق لامانتشا La Mancha، واسترمادور Estrémadure، والارغون Aragon، فقد اضطروا الى التوجه نحو فرنسا، ومنها انتقلت اغليبيتهم من مارسيليا الى ليفورنوا الإيطالية، ثم الى الجزائر. وقد واجه هؤلاء المهاجرون المضايقات في فرنسا، خاصة بعد اغتيال هنري الرابع وتوتر العلاقات بين فرنسا واسبانيا، مما زاد من معاناتهم. وانضم اليهم أيضا عدد كبير من اندلسي الجنوب الاسباني، الذين حرصوا على اصطحاب أطفالهم معهم الى الجزائر، نظرا لان القانون الاسباني كان يمنعهم من اخذ أبنائهم مباشرة الى البلاد الإسلامية. وتجدر الإشارة الى ان موجة الهجرة الجماعية التي وقعت عام 1609م، كان لها كبير في مختلف اقطار المغرب، خاصة الجزائر<sup>2</sup>.

انقسم المهاجرون الاندلسيون في الجزائر الى مجموعتين رئيسيتين:

**المدخلون:** وهم القادمون من مملكة غرناطة والمناطق المجاورة لها جنوب اسبانيا (إقليم الاندلس)، وقد شكل منهم خير الدين باشا فرقة مسلحة تستخدم بنادق مزودة بأقواس، ويرجح ان هذه الفرقة استمرت حتى نهاية القرن السادس عشر او بداية السابع عشر.

**الثغريون** وهم الموريسكيون الذين قدموا من مناطق قطلونية، ومملكة بلنسية، وأرغون، وقشتالة. وكان يسمح لهؤلاء بالانضمام الى صفوف الإنكشارية، ولكن ذلك يتطلب ترخيصا خاصا من الأغا<sup>3</sup>.

استقر عدد كبير من المهاجرين الاندلسيين في المدن الساحلية الجزائرية مثل تنس، بجاية، الجزائر، وهران، وكذلك المدن الداخلية مثل المسيلة، وتلمسان. وقد أدت هذه الهجرة الى ظهور

1. صديقي بلقاسم، مرجع سبق ذكره، ص 94.

2. ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 16.

3. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 151.

مدن جديدة بطابع اندلسي، مثل بجاية التي استقبلت اعداد كبيرة من الاندلسيين حتى شكلوا طائفة ذات أهمية كبيرة، كما هاجر اليها عدد كبير من العلماء. ومن المدن الأخرى التي استقروا بها أيضا البليدة، والقليعة، حيث منحهم خير الدين بن يعقوب أراضي للاستيطان. وفرض الاندلسيون طابعهم الخاص على المدن التي شكلوا فيها الأغلبية، مثل الجزائر، البليدة، دلس، المدينة، قسنطينة، وتلمسان. وتضاعف عدد المدن التي استقر بها الاندلسيون، فبالإضافة الى المدن التي ذكرناها نجد أيضا: مستغانم، عنابة، ارزيو، تنس، وجيجل. فمثلا مدينة شرشال قد بلغ عدد البيوت الأندلسية فيها 12 الف بيت. كما أصبحت سهول متيجة المحيطة بالجزائر مناطق ذات طابع اندلسي واضح<sup>1</sup>، اما مدينة الجزائر فقدر عدد الاندلسيين فيها في مطلع القرن 16م، ب 25 الف اندلسي.

وقد استقبلت بجاية وتلمسان، نسبة كبيرة من المهاجرين الاندلسيين مقارنة بباقي مناطق المغرب الأوسط. نظرا لكونهما من اهم المراكز الحضارية في تلك الفترة. وكان اغلب هؤلاء المهاجرين من اهل العلم والثقافة. ويمكن ان نذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البنلنسي المعروف بابن الأبار (658هـ/1260م)، اديبٌ ولغوي ومؤرخ، تردد على بجاية بعد قيامه بسفارة من قبل امير بننسية. وكما لا يمكننا الاغفال عن شخصية اندلسية كبيرة استقرت بتلمسان وهو أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي، الذي وصفه المقري ب: "الفقيه، الاديب، حائز السبق في كثرة النسخ والكتابة"<sup>2</sup>.

ورغم ان اغلب الاندلسيين كانوا يعتبرون انفسهم في البداية مجرد مهاجرين، الا ان وجودهم في الجزائر اسهم بشكل كبير في الازدهار الاقتصادي والثقافي، ورافقه تطور عمراني ونمو سكاني ملحوظ. فقد أعاد الاندلسيون الحياة الى العديد من المدن الساحلية التي كانت شبه ميتة، كما اسسوا مدنا جديدة لم يكن لها وجود قبل هجرتهم<sup>3</sup>.

1. محمد دراج، الدخول العثماني.....، مرجع سبق ذكره، ص ص62.61.

2. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص ص107.109.

3 احمد بحري، الجزائر في عهد الدايات دراسة اجتماعية ابان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص

بالإضافة إلى هذا أبدى الأندلسيون رغبة كبيرة في العمل البحري، وهو ما لقي ترحيباً وتشجيعاً من العثمانيين الذين استفادوا من مهاراتهم في مجال القرصنة البحرية، نظراً لما كانت تدره أموال طائلة. وقد تميز الموريسكيين بإتقان اللغة الإسبانية، وخبرتهم الواسعة في شؤون البحر، إضافة إلى براعتهم في بناء السفن، مما جعل لهم دوراً بارزاً في النشاط البحري بالجزائر<sup>1</sup>.

ولقد برع الأندلسيون أيضاً في الميدان الفلاحي، ولاسيما في تقنيات الري، فاستصلحوا أراضي واسعة في سهول متيجة، وشرشال، والبليدة، وعنابة، ووهران، وتلمسان، وأسهموا في زراعة الأشجار المثمرة، كما قدموا خدمات إدارية مهمة للدولة العثمانية، فاشتهروا بتحصيل الضرائب وتسجيل موارد الخزينة، واستفادوا من خبرتهم المالية في ممارسة أنشطة القرصنة، والنخاسة، وافتداء الأسرى. وتؤكد معظم المصادر التاريخية على الدور الفعال الذي لعبه الأندلسيون خلال المرحلة الثانية من تأسيس الحكم العثماني بالجزائر (1614م/1830م)، حيث كان حضورهم بارزاً في الجيش والإدارة، وساهم انسجامهم مع العثمانيين في جعلهم من أكثر الفئات نشاطاً داخل إيالة الجزائر<sup>2</sup>.

وقد اظهروا مهاراتهم وكفاءتهم أيضاً في مجال التجارة والصناعة، وذلك بفضل الموال التي جلبوها معهم من الأندلس، وخبرتهم في ميادين صناعة الأسلحة، والبارود، والنجارة، والخياطة، وصناعة الحرف، وقد تميزوا أكثر من غيرهم في مجال تجارة الجملة، وتمويل السفن بالبضائع، كما اشتهروا بإنتاج الحرير في مدينة القليعة، وزراعة نوع جديد من القطن في مستغانم، مما يعكس تنوع مساهماتهم الاقتصادية واندماجهم في مختلف الأنشطة الحيوية بالجزائر العثمانية<sup>3</sup>.

أصبح الأندلسيون يشكلون طبقة برجوازية في المدن الساحلية الجزائرية، وهي طبقة لم تكن موجودة قبل قدومهم، حيث ركزوا نشاطهم على احتكار مفاصل الاقتصاد دون السعي إلى

<sup>1</sup> . عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الأفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014/2015، ص 111.

<sup>2</sup> . حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 168.

<sup>3</sup> . عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 75.

النفوذ السياسي او العليا. بل كان هدفهم الأساسي تنمية ثرواتهم، واستغلال ممتلكاتهم، واستثمار مزارعهم، وبهذا اسهموا في تشكيل طبقة ميسورة الى جانب سكان الحواضر، مع الإشارة الى ان جماعتهم ضمت فئات مهنية وحرفية متنوعة تختلف من حيث المستوى المادي<sup>1</sup>.

رغم ان الاندلسيين ساهموا في احياء المدن الساحلية وانشاء أخرى جديدة، وكان لها دور بارز في الازدهار الاقتصادي والعمراني، الا ان هذا التأثير بدأ يتلاشى تدريجيا، فمع مرور الوقت، اندمج اغلبهم في المجتمع الجزائري، وتضاءل نشاطهم، حتى لم يعد يعرف بانتمائه للأصول الاندلسية سوى عدد قليل من الافراد مع نهاية القرن الثامن عشر، كما لاحظ الرحالة الاوربيون أمثال ابي رينال<sup>2</sup>، لذلك لا يستغرب ان عدد المسجلين رسميا في سجل اوقاف الاندلس عشية الاحتلال الفرنسي 1830م، لم يتجاوز 70 رجلا فقط<sup>3</sup>.

يعود اندماج الجالية الاندلسية بالجزائريين الى جملة من عوامل أهمها:

- استمرار الخطر الاسباني على السواحل الجزائرية، مما جعل الاندلسيين يفضلون الاندماج مع باقي السكان والدفاع عن البلاد بدل الانعزال.
- استبداد بعض الحكام الاتراك وغياب تشجيعهم للمبادرات الاقتصادية حال دون بروز دور الاندلسيين، فضعف نشاطهم وتقلص تأثيرهم الاجتماعي.
- الاستقبال الحسن الذي لقيه المهاجرون ساهم في تسهيل اندماجهم خاصة مع اقدامهم على المصاهرة، كما حدث مع سيدي احمد الكبير مؤسس البلدية.
- اما في أواخر العهد العثماني، فقد ساهمت غارات الاعراب، وتقصي الأوبئة والمجاعات واضطراب الامن وهجمات الاساطيل الأوروبية، في تراجع المدن التي كانت تأوي الجالية الاندلسية، مما أدى الى ذوبانها في المجتمع المحلي واختفاء ملامحها تدريجيا<sup>4</sup>.

1. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 132.

2. ابي رينال : Guillaume-Thomas Raynal، كاتب وفيلسوف فرنسي من القرن الثامن عشر ميلادي.

3. ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 27.

4. ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص ص 28-27.

وفي الأخير يتضح ان الجالية الاندلسية في الجزائر خلال العثماني لعبت دور بالغ الأهمية في مختلف الميادين الاقتصادية والعمرانية والثقافية، واسهمت بفعالية في احياء عدد من المدن وإعادة تنشيط الحياة بها. كما تميز الاندلسيون بمهارتهم العالية في التجارة والفلاحة والصناعة البحرية، ونجحوا في تشكيل طبقة اجتماعية نشطة وميسورة، ومع مرور الزمن، وبفعل العوامل السياسية والأمنية والاقتصادية، بدأ هذا العنصر يندمج تدريجيا في النسيج السكاني المحلي الى ان تلاشت ملامحه المميزة مع نهاية العهد العثماني، غير ان بصماته الحضارية ظلت شاهدة على مساهماته القيمة في بناء المجتمع الجزائري.

## المبحث الثالث: اهل الذمة.

مثل اهل الذمة جزء من النسيج الاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني (1530م/1830م)، وقد عاشوا تحت حماية الدولة الإسلامية، وفق احكام الشريعة التي ضمنت لهم الامن على انفسهم، واموالهم، ومعتقداتهم، مقابل دفع جزية. وتمتعوا بحقوق محددة، وشارك بعضهم في الحياة الاقتصادية، خاصة في مجالات التجارة والحرف، ورغم وضعهم كأقلية دينية، فان علاقتهم بالسلطة العثمانية تميزت في الغالب بالاستقرار، ضمن اطار الذمة الذي كان معمولاً به في سائر الدولة العثمانية.

## 1. تعريف اهل الذمة:

## ❖ الذمة في اللغة:

تطلق كلمة ذمة في اللغة على العهد والكفالة والضمان والأمان. وقد سمي العهد "ذمة" لأن خيانتة ونقضه تعد جريمة كبيرة تستوجب العقوبة، وقد تصل الى القتل. ومن هذا المعنى جاء الحديث الشريف المروي عن ابي طالب رضي الله عنه، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمنون تتكافأ دمائهم، ويسعى بذمتهم ادناهم"، أي ان جميع المسلمون متساوون في حرمة دمائهم، وإذ اعطى اقدمهم الأمان لغير مسلم، فإن هذا العهد يلزم جميع المسلمين باحترامه، وجاء في رواية أخرى للحديث: " ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم"<sup>1</sup> ويعني ان امان أي مسلم مهما كانت مكانته بسيطة، يحترم من قبل الجميع، لان المسلمين امة واحدة في تحمل المسؤوليات وصون العهود.

الذمة في اللغة تعني العهد، والأمان، والكفالة، وتطلق أيضا على الجماعة التي أعطيت لهم عهدا بالحماية. ويقال: "اذم له" او "اذم عليه" أي أعطاه العهد والأمان. ومن هنا جاءت تسمية "اهل الذمة"، وهم غير المسلمين الذين ابرم معهم عقد الذمة يكفل لهم الامن على انفسهم واموالهم واديانهم. اما الذمي فهو الشخص الذي منح له هذا العهد فأصبح يعيش عند الدولة الإسلامية آمنا على دينه وعرضه وماله. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: " كيف وإن

<sup>1</sup>. إبراهيم رحمانى، مفهوم الذمة في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، مجلة البحوث والدراسات، العدد8، 2009، ص54.

يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون"<sup>1</sup>  
أي لا يرعون عهدا ولا عقدا<sup>2</sup>.

ومصطلح اهل الذمة لا يرتبط بأهل الكتاب فحسب، بل يرتبط بالصائبة والمجوس بالرغم من كونهم غير كتابيين الا انهم ادرجوا ضمنهم. والدليل على ذلك ان عمر بن الخطاب اخذ الجزية منهم بشهادة الصحابي عبد الرحمان بن عوف، وذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر<sup>3</sup>.

### ❖ الذمة شرعا:

الذمي اصطلاحا هو كل شخص غير مسلم يقره المسلمون على الإقامة الدائمة في دار الإسلام، ويمنح الأمان مقابل دفع الجزية والتزامه بالأحكام الشرعية التي تخص غير المسلمين، مثل ما يتعلق بالمعاملات والعبادات التي تخصهم، مع احترام النظام العام للدولة الإسلامية. والجزية هي مبلغ من المال يفرضه الامام (ولي امر المسلمين) على رجل غير مسلم، بشرط ان يكون حراً، بالغاً، عاقلاً، قادراً على الدفع، ومقيماً بين المسلمين، ولم يكن عبدا اعتق على يد مسلم، وتتخذ الجزية أمانه، واستقراره في الدولة الإسلامية<sup>4</sup>.

اذن اهل الذمة سواء كانوا من اهل الكتاب او العقيدة او ملة ليس لها كتاب فان لهم العهد بمقتضى ذمة الله ورسوله، فيمتنعون بالأمن على أنفسهم وعلى عقيدتهم واموالهم واعراضهم.

## 2. أصناف اهل الذمة المتواجدة في الجزائر خلال العهد العثماني:

<sup>1</sup>. سورة التوبة، الآية 8.

<sup>2</sup>. نمر محمد الخليل نمر، اهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، د.س، ص73.

<sup>3</sup>. ابن القيم الجوزية، احكام اهل الذمة، تحقيق وتعليق: ابي براء يوسف بن احمد البكري . وابي احمد شاکر بن توفيق العاروري، المجلد 1، ط1، رمادي للنشر، 1997، ص ص8380.

<sup>4</sup>. نمر محمد الخليل النمر، مرجع سبق ذكره، ص 74.

تتوعدت أصناف اهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني، وكان اغلبهم من اليهود والنصارى، ويعد اليهود اكبر طائفة غير مسلمة مستقرة في البلاد، كما وجدت اقلية من النصارى وكانوا يتمتعون بالحماية وفق نظام الذمة او عبر الامتيازات الأجنبية.

### ❖ أولاً: اليهود.

لقد كان يصنف اليهود كفئة اجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني ضمن فئة الدخلاء، وكانوا يشكلون العنصر الأهم بينهم<sup>1</sup>. تشكل احد العناصر البشرية المهمة في المدن الكبرى الجزائرية، وترجع اصولهم، اما الى اليهود المحليين الذين استقروا في البلاد قبل دخول الإسلام<sup>2</sup>، بحيث ظهروا في افريقيا بصفة عادية منذ اقدم العصور<sup>3</sup>، ومنهم من نزح من أراضي فلسطين، ومنهم من ارتبطوا بالحملات التجارية الفينيقية والاحتلال الروماني فكان يطلق عليهم التوشابيم<sup>4</sup>. او الى السكان من أهالي البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في الفترات السابقة<sup>5</sup>.

وقد تعزز الوجود اليهودي لاحقا بفعل موجات متتالية من الهجرة، خاصة من أوروبا، نحو بلاد المغرب الأوسط.

وفي هذا السياق أشار حنون الى حركة الهجرة اليهودية من الأراضي الأوروبية نحو الجزائر بدأت قبل سنة 1391م، وتحديدا منذ أواخر القرن الثالث عشر ميلادي، وذكر حسين ان جماعة صغيرة من اليهود وصلت الى مدينة الجزائر من جزر البليار، خاصة من مدينة مايوركا، بعد ان طردوا من قبل الملك الفونسو الأروغواني، كما أورد لوغي دي تاسي ان هناك مهاجرين يهوديين قدموا من إيطاليا الى الجزائر سنة 1342م، وان عناصر أخرى وصلت من

1. صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 361.

2. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 102.

3. ارزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م. 1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 118.

4. شهرزاد شلبي، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني "المؤسسات المالية نموذجا" (1798م. 1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018-2019، ص 265.

5. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 102.

الأراضي المنخفضة سنة 1350م، غير ان الهجرة الكبرى حصلت ابتداء من 1391م، نتيجة لأعمال العنف والاضطهاد التي طالت اليهود في مناطق متعددة من اسبانيا، لاسيما في قشتالة، والارغون، كتالونيا، وجزر البليار، وقد رأى دي غرمون لجوء اليهود بكثافة الى المغرب الأوسط في القرن الرابع عشر ميلادي طاهرة غير مألوفة، دون ان يجد لха تفسيراً مقنعاً. ومن المؤكد ان الفضل في تنظيم الجماعات اليهودية في الجزائر الى هؤلاء المهاجرين الأوائل باسم "الميغوراشيم" الدين استقر عدد منهم في مدينتي تلمسان والجزائر. وأسهموا في بناء مجتمع يهودي منظم داخل النسيج الاجتماعي المحلي<sup>1</sup>.

تميزت جماعة الميغوراشيم بمكانة خاصة، وقد عرفوا في المصادر العربية بيهود الاندلس، او يهود اسبانيا، وفي الأوساط العبرية بالميجوراشيم، بينما اطلقت عليهم المصادر الاسبانية أسماء استحقارية مثل المرانيين "Los Morranas" او الخنازير "Les Porcs"، وقد كان الميغوراشيم هم المؤسسون الحقيقيون لليهودية في الجزائر، ولم يقتصر دورهم على احياء الحياة الفكرية والدينية داخل طائفة اليهود، بل ساهموا أيضا في انعاش الاقتصاد المحلي، فكان لهم تأثير مزدوج على المستويين الثقافي والاقتصادي<sup>2</sup>.

وقد عرف اليهود القادمون من الاندلس بحاملي القبعات او الكابوسين *porteurs de capuches*، وهو اسم يشير الى مظهرهم ولباسهم المميز، ومنذ نهاية القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر، عاش اليهود في الجزائر في امان نسبي، حيث مارسوا شعائرهم الدينية بحرية، واحتفظوا بعاداتهم الاجتماعية. وقد ازدهر نشاطهم الاقتصادي بشكل ملحوظ، خاصة بعد ان منحهم خير الدين بن يعقوب الاذن بالإقامة داخل مدينة الجزائر، وسمح لهم بفتح ورشات ومحلات في مختلف الأسواق لمزاولة حرفهم اليدوية ونشاطاتهم التجارية، ولقد ساهمت عدة عوامل في تسهيل اندماجهم في الحياة العامة، ومن ابرزها الثقة التي وضعها الحكام العثمانيون فيهم، الى جانب ميول الكثير من المسلمين الى التعامل مع يهود الميغوراشيم

<sup>1</sup>. نجوى طوبال، يهود مدينة الجزائر خلال العهد الدايات 1700م . 1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية، منشورات سيدي نايل، 2009، ص ص 69.68.

<sup>2</sup>. محفوظ حني، اهل النمة في ايلة الجزائر بين الاعتراف الديني والحرية الاقتصادية والتأثير السياسي، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 3، 2022، ص 288.

تحديداً، نظراً للتقارب الكبير بينهم وبين مسلمي الأندلس في أسلوب العيش والمهنة، وخاصة في مجال الحرف، والصناعات التقليدية<sup>1</sup>.

اذ كان وضع اليهود مستقراً نسبياً في مدينة الجزائر وبقية المدن الواقعة تحت الحكم العثماني، فإن الأمر مختلفاً تماماً في المدن المغاربية التي ظلت تحت السيطرة الإسبانية، حيث ساد الحقد والتعصب الديني تجاه اليهود، فقد حمل الإسبان معهم روح الاضطهاد ومارسوا سياسات قاسية ضد الجاليات اليهودية. ففي عام 1509م، فرض الكاردينال خيميس، الحاكم الإسباني لمدينة وهران ضرائب باهظة على اليهود، قبل ان يتم طردهم نهائياً من المدينة سنة 1699م، حيث اجبروا على التوجه الى إيطاليا، ولم يسمح لهم بالعودة الى وهران الا سنة 1792م، عقب انسحاب الإسبان منها بشكل نهائي<sup>2</sup>.

وهناك طائفة أخرى من اليهود عرفت باليهود الليفورنيين، وهم التجار ورجال الأعمال ينحدرون من مدينة ليفورنو الإيطالية في قطاع التجارة البحرية ابتداء من نهاية القرن السابع عشر ميلادي، واستمر نشاطهم طوال النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي، وقد ساهمت معاملاتهم التجارية المتكررة في ترسيخ علاقات اقتصادية منتظمة بين ميناء الجزائر وميناء ليفورنو. وقد عرف هؤلاء في الجزائر بيهود الافرنج *les juifs francs*، او اليهود المسيحيين *les juifs chrétiens*، ويعود سبب التسمية الأولى الى ان اغلبهم اختاروا الخضوع لحماية القنصل الفرنسي، لما كان يتمتع به من نفوذ قوي، بينما تعود التسمية الثانية الى الامتيازات تمتعوا بها، اذ لم يجبروا على الإقامة في حارات اليهودية الخاصة باليهود الأهالي او يهود السفارديم<sup>3</sup> (الإسبان)، بل أتيح لهم السكن بحرية، وارتداء الأزياء الأوروبية دون قيود، وتعد سنة 1692م، حسب الباحثة بيلامي، هي سنة بداية نشاطهم الرسمي والفعلي، حيث

1. نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700. 1830م) الهجرات وأماكن الإقامة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 03، 2013، ص 27.

2. نجوى طوبال، يهود مدينة الجزائر.....، مرجع سبق ذكره، ص 65.

3. السفارديم: وهي الصل العبري لمصطلح السفارد، وتعني اسباني او اسبانيولي. انظر: صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر العهد الديت، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، بسكرة، 2007/2008، ص 22.

اشتغلوا في مجالات التوريد والتصدير عبر ميناء الجزائر كما عملوا على إعادة بيع الغنائم البحرية الناتجة عن القرصنة والتي كان يتم استيرادها الى المدينة<sup>1</sup>.

واتسمت الأنشطة التجارية لليهود الليفورنيين بطابعها العائلي المنظم، حيث فضلت العديد من العائلات تأسيس فروع ووكالات لشركاتها في مدن شمال افريقيا كثل الجزائر، تونس، طرابلس، وقد تولى اشخاص من نفس العائلة الاشراف على هذه الفروع بهدف تسهيل المعاملات التجارية وضمان الثقة والاستمرارية في إدارة الاعمال. ومن بين أبرز الأسماء التي استقرت بمدينة الجزائر في أواخر القرن السابع عشر نذكر بن دحمان، ساكوتو، إسحاق كوهين، صموئيل هاتريكان، موسى كوهين، باروخ لوصاد، موسى قابيسون، هارون ديباز، وغيرهم من الشخصيات التي كان لها تأثير واضح في النشاط التجاري للمدينة<sup>2</sup>.

يشير فيليبيني philipini الى وجود تيار هجرة معاكس أي من مدينة الجزائر نحو مدينة ليفورنه، ابتداء من منتصف القرن السابع عشر ميلادي، واستمر طوال القرن الثامن عشر ميلادي، وقدرت نسبتهم ب 13% من مجمل اليهود المقيمين بليفورنو<sup>3</sup>.

وما يجب ذكره ان هجرة اليهود الليفورنيين الى مدينة الجزائر مختلفة عن باقي الهجرات فهذه الهجرة اختيارية بينما كانت الهجرات اليهودية الأخرى اضطرارية وكانت الأسباب دينية وسياسية.

ولقد تباينت التقديرات المصادر الأوروبية بشأن عدد اليهود في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، ويعزى هذا التباين الى اختلاف ملاحظات الرحالة والمصادر إضافية الى حرص اليهود الشديد على إخفاء اعدادهم الحقيقية، وذلك لتفادي دفع مبالغ مرتفعة من الجزية والغرامات والمساهمات المفروضة عليهم.

ورغم هذا التخفي، أورد الأسير الاسباني هايدو Haedo في أواخر القرن السادس عشر 150 منزلا يهوديا في مدينة الجزائر، في حين قدر الرحالة "فرنسيس نايت Francis Knight" عدد سكان المدينة منتصف القرن السابع عشر ب 28 الف عائلة، من بينهم ما لا يقل عن

<sup>1</sup> . محفوظ حني، مرجع سبق ذكره، ص 229.

<sup>2</sup> . نجوى طوبال، طائفة اليهود.....، مرجع سبق ذكره، ص 28.

<sup>3</sup> . نجوى طوبال، يهود مدينة الجزائر.....، مرجع سبق ذكره، ص 68.

30 ألف يهودي، وهو رقم يبدو مبالغاً فيه إلى حد كبير، أما مصدر انجليزي آخر فذكر وجود 13 ألف عائلة يهودية في نهاية القرن ذاته ومطلع القرن الثامن عشر، وقدر الرحالة شاول Shaw عدد اليهود بـ 15 ألف نسمة مقابل 100 ألف مسلم، في حين ذكر "دي تاسي de Tessy" خلال القرن نفسه وجود 5 آلاف عائلة يهودية، أما "فونتير دي برادي venture de paradis" فقد أحصى أواخر القرن الثامن عشر حوالي 7 آلاف يهودي في مقابل 50 ألف مسلم، وعشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، أشارت التقديرات الفرنسية إلى وجود حوالي 5 آلاف يهودي، أي ما يعادل عشر سكان المدينة<sup>1</sup>. أما أماكن إقامة اليهود فتتقسم إلى قسمين: 1/ الإقامة في الأحياء السكنية ويشكلون نسبة 58.57%، 2/ الإقامة في الأسواق باعتبارها مراكز اقتصادية، إذ اتخذت بعض مباني السوق أو أجزاء منها كمحلات للإقامة، مشكلين بذلك نسبة 41.42%، من اليهود. ولقد عرفت في مدينة الجزائر حارة سميت بحارة اليهود<sup>2</sup>

#### ❖ ثانياً: النصارى.

أطلق على النصارى هذا الاسم نسبة إلى قرية الناصرة. ويقال لها أيضاً نصره و قيل انصاري استناداً إلى قوله تعالى: "فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله ءامنا بالله واشهد بأنا مسلمون"<sup>3</sup> كما ان النصرانيين عرفوا بعدة تسميات لكن ظلت هذه التسمية شائعة ومفردها نصراني إذ وردت في القرآن الكريم لقوله تعالى: " ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد"<sup>4</sup>.

وكان وجود النصارى في الجزائر حتى أواخر القرن السابع عشر ميلادي، أكثر ما يلفت الانتباه، حيث تراوحت نسبتهم ما بين 10% و 20%، من مجموع السكان، ولقد كان هؤلاء

1. نجوى طوبال، يهود مدينة الجزائر.....، مرجع سبق ذكره، ص ص 69. 70.

2. نجوى طوبال، طائفة اليهود...، مرجع سبق ذكره، ص ص 29. 30.

3. سورة آل عمران، الآية 52.

4. سورة الحج، الآية 17.

النصارى عبارة عن خليط مختلف من الأمم الأوروبية<sup>1</sup>. انقسموا حسب وضعيتهم الى مجموعتين:

### ➤ الاسرى والارقاء:

بدأ النشاط البحري للجزائريين في منتصف القرن الرابع عشر ميلادي، حيث تراجعت قوة الاساطيل الإسلامية، وأصبحت البحرية في المتوسط بيد الأوروبيين، ومع تفكك هذه الدول، شرع سكان بجاية منذ نحو ثلاثين سنة في ممارسة الجهاد البحري، فكان الأهالي والبحارة يجتمعون لتجهيز الاسطول، ويختارون له الشجعان من الرجال، ثم ينطلقون نحو سواحل وجزر المسيحيين لمباغتتهم، فيأسرون ما يستطيعون، ويشتبكون مع السفن التي تعترضهم، ويعودون محملين بالغنائم والأسرى<sup>2</sup>.

وكان الاسرى العبيد يشكلون غالبية المسيحيين او النصارى على اختلاف اجناسهم، فكان بينهم ايطاليون، واسبان، انجليز، وبرتغاليون، وفرنسيون، وهولنديون، واغريق، وصقالبة وغيرهم، وكان المصدر الرئيسي لهؤلاء الاسرى هو نشاط الجهاد البحري (القرصنة)، سواء من خلال المعارك البحرية وملاحقة السفن الأوروبية. او عبر الغارات على السواحل والجزر الواقعة في الحوض الغربي وشمال الاطلسي<sup>3</sup>.

قدر عدد الاسرى المسيحيين، في نهاية القرن السادس عشر ميلادي بحوالي 25 ألف اسير، ثم بدأ هذا العدد يتناقص مع تراجع النشاط البحري، حتى لم يتجاوز 10 الاف اسير في الربع الأول من القرن الثامن عشر ميلادي، وكانوا موزعين على سجون البايك الخاصة، ثم عاد ارتفع عددهم في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، نتيجة تجدد نشاط البحرية الجزائرية. وبعد هجوم اللورد اكس ماوث سنة 1816م، اضطرت حكومة الداوي الى إطلاق سراح جميع الاسرى الذين بلغ عددهم 1642 اسير، وعند احتلال

<sup>1</sup>. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 160.

<sup>2</sup>. بوعلام صفاح، العائدات المالية لافتداء الاسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور الجديدة، المجلد 11، العدد 2، 2021، ص 335.

<sup>3</sup>. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص 161.

الفرنسي لم يكن عدد الاسرى العشرين فردا اغلبهم من الجنود الاسبان الفارين من الخدمة العسكرية<sup>1</sup>.

كان يتم بيع الاسرى في سوق النخاسة المعروف بالبادستان حيث كان بعضهم ملكا للبايك، والبعض الاخر ملكا للخوادم، وكان الارقاء الذين لا يمتلكون مؤهلات يستخدمون عادة "كراكجية" أي مجدفين او حجارين، وفي غيرها من الاعمال الوضيعة التي كان يزاولها غالبا الغرباء (البرانية)، اما الاسرى المحترفون، فكان وضعهم افضل، اذ كان بإمكانهم كسب المال اللازم لفدية انفسهم من خلال العمل كحدادين، او نجارين، او بنائين، او ملاحين، وغير ذلك، ويشار الى ان الاسرى من ذوي المكانة، مثل رجال الدين والضباط، كانوا يعفون من العمل الا اذا تأخرت فديتهم<sup>2</sup>.

ومن الملاحظ، ان ظروف حياة الاسرى في الجزائر، اذ ما قورنت بأوضاع الاسرى المسلمين في الدول الأوروبية، كانت جيدة بل ممتازة، وذلك حتى بشهادة بعض الكتاب الأوروبيين، مثل لوجي دو تاسي، الذي انتقد المزاعم والدعايات المعرضة التي كان يروج لها رجال الدين المسيحيون بهدف دفع الدول الأوروبية الى محاربة الجزائر واحتلالها<sup>3</sup>.

### ➤ الاحرار:

كانت هذه الأقلية تضم عدد كبيرا من التجار والسماسرة الذين قدموا الى المدينة أساسا لشراء اسلاب إخوانهم في الدين، والتي كانت تباع لاحقا في أسواق مارسيليا، وليفورنه، وجنوة، وامستردام، وكانت اقامتهم في المدينة مؤقتة، وغالبا لا تتجاوز ستة أشهر او سنة واحدة، وتمتع هؤلاء التجار بعدة امتيازات، اذ كانت لهم محاكم للفصل في نزاعاتهم، وكانوا يمارسون شعائهم الدينية بحرية داخل الكنائس التابعة للقنصليات، كما كانت مسؤولية الدفاع عن مصالحهم تقع على عائق قنصل بلدهم. وخلال القرن السابع عشر ميلادي كان في الجزائر ثلاثة قناصل فقط يمثلون الدول البحرية الكبرى. وهم قناصل فرنسا، وانجلترا، والاقاليم المتحدة<sup>4</sup>.

1. ناصر الدين سعيدوني . المهدي بوعبدلي، مرجع سبق ذكره، ص 104.

2. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص ص 161 . 162.

3 المهدي بوعبدلي . ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 105.

4. امين محرز، مرجع سبق ذكره، ص ص 162. 163.

والى جانب التجار والقناصل، وجد عدد قليل من رجال الدين الذين كانوا يتولون مهمة افتداء الاسرى ورعايتهم من الأموال التبرعات، كما كانوا يشرفون على إدارة شؤون الكنائس والمصحات الموجودة داخل السجون. وكان اغلب هؤلاء الأوروبيين يقيمون في منازل مستأجرة او في فنادق، وذلك في قسم الشمالي الغربي لمدينة الجزائر، قرب باب الوادي في ما كان يعرف بحي البحرية<sup>1</sup>.

ولقد كانت هذه الفئة تعيش في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والاحكام القضائية والقوانين المعمول بها في البلاد، وكانوا يتعرضون في بعض الأحيان الى غضب الحكام واستبدادهم عند توتر العلاقات مع دولهم<sup>2</sup>.

يتضح من خلال دراسة وضعية اهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني انهم شكلوا اقلية دينية واقتصادية محدودة لكنها حظيت بقدر من الجماعة والتنظيم ضمن الإطار العام لنظام الحكم العثماني. فقد تمتعوا بحقوق معينة، كحرية العبادة، والاحتكام لمحاكم خاصة، وحق الإقامة وممارسة التجارة، لاسيما في إطار العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الدول الأوروبية، كما كان لهم حضور في الحياة الاقتصادية من خلال دورهم كتجار وسماسرة في حين تولى رجال الدين المسيحيون رعاية الاسرى والاشراف على شؤونهم الإنسانية والدينية. وبالرغم من انهم عاشوا ضمن وضعية "الذمة" الا ان واقعهم اليومي اتسم بدرجات متفاوتة من التسامح والانضباط، يعكس في مجمله طبيعة التوازن الذي ساد بين المصالح السياسية والاقتصادية والدينية.

<sup>1</sup>. مرجع نفسه، ص 163.

<sup>2</sup>. المهدي بوعبدلي. ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 105.

## الفصل الثالث:

التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع  
الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الأول: التأثير على العمران  
والفنون.

المبحث الثاني: التأثير على العلم والادب.

المبحث الثالث: التأثير على العادات  
والتقاليد.

## المبحث الأول: التأثير على العمران والفنون.

مثل قدوم الوافدين الى الجزائر خلال العهد العثماني عاملا مهما في تطور العمران والفنون، حيث حمل كل من العثمانيين، والانديسيين، واهل الذمة معهم انماطا معمارية وفنية تعكس اصولهم وثقافتهم. وقد انعكس هذا التنوع في الطراز المعماري للمدن، وزخرفة المساجد والمنازل، وحتى في الفنون التقليدية كالخط والموسيقى، مما ساهم في تشكيل طابع عمراني وثقافي مميز للجزائر خلال تلك الفترة.

### 1. التأثير المعماري:

شكل المجال المعماري أحد أبرز الجوانب التي تأثرت بوجود الوافدين في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث ساهم هؤلاء في إغناء الطابع العمراني للمدن الجزائرية. وقد تجلت هذه التأثيرات في تصميم المساجد، البيوت، الحمامات، والأسواق، من خلال أنماط وبناء وزخرفة تعكس اصولهم الحضارية، مما أضفى على العمران المحلي طابعا فنيا متنوعا ومميزا.

#### 1.1. التأثير العثماني:

رغم وجود العديد من الشواهد العمرانية التي تعود للعهد العثماني في الجزائر، إلا ان بعض الباحثين خاصة من المستشرقين، انتقدوا الاتراك واعتبروهم غير مبدعين في ميدان الحضارة والعمران، ومن هؤلاء غوستاف لوبون الذي قال: " ليسوا بأمة حضارة مبدعة، فبرغم طول مكثهم بهذا القطر من ارض المغرب الإسلامي، لم نر لهم مدينة انشأوها أو أرضا مواتا... فأين يقال هذه كذا تركية" ويستدل بذلك على غلبة الطابع الحربي على الدولة العثمانية مقابل ضعف مساهمتها في انشاء مدن جديدة او تطوير العمران مقارنة بالحضارات السابقة<sup>1</sup>. غير ان هذا الرأي يبقى محل نقاش لأن العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني شهدت تطورا واضحا في بناء المساجد والقصور والحمامات، مثل جامع كتشاوة، قسبة الجزائر، القلاع،

1. محمد حاج سعيد، مساجد القسبة في العهد العثماني (تاريخها، دورها، عمارتها)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015/2014، ص ص39.38.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

وغيرها، مما يدل على مساهمة فعلية في الحياة العمرانية، وان كانت محدودة من حيث التوسع خارج النطاق العسكري والإداري.

رغم الانتقادات التي وجهت للعثمانيين بخصوص ضعف مساهمتهم في المجال العمراني، إلا ان الواقع التاريخي يثبت ان ولاية الجزائر، خاصة البايبربايات، قد تركوا بصمة واضحة في هذا المجال. فقد اهتموا ببناء الحصون، والقصور، والمساجد، والحمامات، والمدارس، بل حتى الموانئ. وشهدت مدينة الجزائر، على وجه الخصوص، ازدهارا عمرانيا لافتا خلال العهد العثماني، حيث شيّدت فيها قصور فخمة مزخرفة بالرخام، ومدت قنوات المياه والعيون الى احيائها، وأسست حمامات عمومية للاستحمام بالمجان، ومستشفيات لمعالجة المرضى، بالإضافة الى القلاع الضخمة التي ماتزال شاهدة على عظمة هؤلاء الولاة وجهودهم في تطوير المدينة<sup>1</sup>.

لقد كان هناك انسجام واضح بين الفن العثماني والفن المحلي الجزائري، مما ساعد على تقبل هذا الفن من طرف السكان المحليين، حيث اقبلوا عليه بكل وعي، لما وجدوا فيه من توافق مع ذوقهم العام وتجاوب مع حاجاتهم الاجتماعية. وقد أدى هذا التفاعل الى تمازج فني مميز، سمح للعمارة العثمانية بأن تجد لنفسها موطئ قدم في الوسط المدني والاجتماعي، فتطورت عناصرها بأسلوب يعكس روح البيئة الجزائرية دون ان تفقد طابعها العثماني<sup>2</sup>.

فمع قدوم العثمانيين بدأت حركة البناء والتعمير بشكل واسع خاصة من الناحية الأمنية والدفاعية<sup>3</sup>، فقد اولوا عناية فائقة ببناء التحصينات العسكرية، من ابراج، وحصون، واسوار، وفيما يلي نستعرض نموذجين يعبران عن هذا الاهتمام العمراني الدفاعي.

1. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص32.

2. سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الاثرية في مدينة البليدة خلال العهد العثماني، مذكرة لمقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص ص7 . 8.

3. وافية نفطي، التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال فترة الحكم العثماني 1830.1519 العوامل والخصائص، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد3، 2022، ص 181.

**أ. برج باب الوادي:**

يعرف هذا البرج بعدة أسماء، منها: برج محمد باشا، وبرج 24 ساعة، وبرج ستي تاكليت، وبرج العلي، ويعتبر واحد من أهم الأبراج الدفاعية الثلاث التي لعبت دوراً محورياً في حماية مدينة الجزائر خلال القرن 16م، ورغم تعدد الأسماء، فإن التسمية الأكثر قبولاً وشيوعاً بين الباحثين هي برج محمد باشا، استناداً إلى الكتابة التذكارية المنقوشة على بوابة البرج، والتي تؤكد نسبته إلى هذا الوالي العثماني<sup>1</sup>.

**ب . جيجل:**

كانت مدينة جيجل أول نقطة استقرار للعثمانيين على الساحل الجزائري، حيث لقي أبناء يعقوب، منذ وصولهم إليها سنة 1513م، دعماً كبيراً من سكانها، وهو ما أكسب المدينة مكانة خاصة لدى الحكام العثمانيين طوال فترة وجودهم في الجزائر. وبعد حملة القائد الفرنسي دوفور سنة 1664م، قام العثمانيون ببناء برج دفاعي خارج أسوار المدينة لتعزيز التحصين البحري. وقد ضمت حاميته وحدتين عسكريتين قوامها 29 جندياً، وتمكنت هذه القوة المحدودة من صد الهجوم الفرنسي رغم تفوق عدد القوات المهاجمة التي بلغت حوالي 5000 جندي. وقد كان لهذا الانتصار أثر كبير، حيث اضطر الملك لويس الرابع عشر إلى طلب إبرام معاهدة صلح مع الجزائر سنة 1666م، وهو ما يؤكد فعالية هذه المنشآت الدفاعية ودورها السياسي في حماية السيادة الجزائرية خلال العهد العثماني<sup>2</sup>.

وإلى جانب التحصينات العسكرية، حظيت المباني الدينية باهتمام خاص من طرف الحكام وكبار التجار والطبقة الغنية خلال العهد العثماني، حيث خصصوا أموالاً طائلة لبنائها والإنفاق عليها. وتقدر عدد المباني الدينية في مدينة الجزائر وحدها قبيل الاحتلال الفرنسي عام 1830م، تجاوز 150 مبنى دينياً، من بينها 100 لاسعة (مدرسة قرآنية)، و13 مسجداً، و12 زاوية. وتظهر هذه الأرقام مدى ارتباط العثمانيين بالجانب الديني وحرصهم على تعزيزه

<sup>1</sup>. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990/1989، ص 94.

<sup>2</sup>. جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه للعلوم في التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007، ص 77.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

عمرانيا، سواء عبر المساجد أو الزوايا. ومن الخصائص المعمارية البارزة في تلك الفترة استخدام القبة في تصميم المساجد، وهو نمط شائع في الجزائر آنذاك، إذ تم تطبيق نموذج القبة المثلثة مثلا في إحدى البنايات عام 1696م، كما يتجلى التأثير العثماني بوضوح من خلال عنصر معماري مميز أسهم في إضفاء الطابع الشرقي على مدينة الجزائر، وهو المئذنة ذات الطابع العثماني، والتي تختلف في شكلها وزخرفتها عن الطراز المغربي التقليدي<sup>1</sup>. ومن أبرز النماذج المعمارية التي تجسد التأثير العثماني في المباني الدينية بالجزائر، جامع كتشاوة. يعتبر هذا الأخير، من أشهر الجوامع التاريخية في الجزائر، واحد أبرز المعالم التي تعود الى العهد العثماني. شيد المسجد في سنة 1021هـ/1612م، ويعد تحفة معمارية عثمانية نادرة وفريدة من نوعها. يقع الجامع حاليا في ساحة ابن باديس، وقد سمي "بكتشاوة" نسبة الى السوق الذي كان يقام قربه، حيث كان العثمانيون يطلقون على تلك الساحة اسم "سوق المعز". ويجمع هذا الجامع بين الطراز العثماني الأصيل وبين عناصر معمارية محلية، ما يجعله شاهدا حيا على التمازج الثقافي والعمراني الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني<sup>2</sup>.

أما المسكن فقد امتاز بخصائص معمارية فريدة جعلته مختلفا عن باقي المساكن في الأقاليم الأخرى. فقد جمع في تصميمه بين الأسس المعمارية الوافدة من الدولة العثمانية، وبالخصوص من العاصمة "إسطنبول"، وبين العناصر المحلية التقليدية من حيث المواد والتفاصيل الزخرفية، ما أنتج نمطا خاصا يمكن وصفه بأنه عثماني بطابع جزائري. وقد عكست مساكن مدينة الجزائر هذا التمازج بوضوح إذ حافظت على مظاهر الأصالة المحلية، وهو ما يظهر جليا في نماذج سكنية مثل: دار عزيزة، دار مصطفى باشا، دار خديوج العمياء، ودار الحمراء. وتعد هذه الدور خير مثال على المزج المتناغم بين التقاليد العمرانية الموروثة من الفترات السابقة وبين الفنون العثمانية المستوحاة من إسطنبول، مما جعل المسكن الجزائري آنذاك فضاء يعكس هوية ثقافية متعددة الأبعاد<sup>3</sup>.

1. رشيد مريخي، الجزائر في عهد الدي مصطفى باشا 1212 . 1220هـ/1798م . 1805م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، بوزريعة، 2010/2011، ص ص148.149.

2. محمد حاج سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 64.

3. سعاد بن شامة، مرجع سبق ذكره، ص 141.

ولقي بناء الحمامات، والعيون العمومية وقناطر المياه اهتماما كبيرا خلال هذا العهد<sup>1</sup>. كما انتشرت ظاهرة بناء الأحواش في البساتين خارج المدينة بين أثرياء المدن والموظفين السامين وبعض رجال العلم، ولم تكن هذه الأحواش مجرد أماكن للراحة أو الترفيه، بل عدت فضاءات خاصة تعكس المكانة الاجتماعية والثقافية لأصحابها. فكانوا يحرصون على تزيينها بأنواع من الأسلحة الثمينة، والآلات الموسيقية، والزرايب الرفيعة، وجلود الحيوانات النادرة، والتحف المصنوعة من الذهب والفضة، وحتى الساعات الفاخرة، مما يدل على ذوق فني رفيع وتأثر بالأنماط العثمانية في الزينة والترف<sup>2</sup>.

يتجلى من خلال دراسة المجال العمراني للجزائر في تلك الحقبة أن العثمانيين أولوا اهتماما واضحا بتنظيم المدن وتحسينها وتزيينها، وهو ما يظهر في كثافة المنشآت العمرانية التي شيدها من مساجد، وزوايا، ومدارس، وحمامات، وأسوار، وقلاع، وقصور. وقد جمع هذا العمران بين النمط المعماري العثماني الوافد والخصوصيات المحلية، مما أفرز طابعا عمرانيا مميزا عن تفاعل حضاري وثقافي بين الوافد والمحلي.

### 2.1. التأثير الأندلسي:

بعد ان تناولنا التأثير العثماني في المجال العمراني بالجزائر، يجدر بنا التوقف عند الإسهام الأندلسي الذي لا يقل أهمية، خاصة وأن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قد بلغت أوجها بعد سقوط الأندلس في نهاية القرن 15م، مما أدى إلى استقرار أعداد كبيرة من الأندلسيين في عدد من المدن الجزائرية، من أبرزها الجزائر، تلمسان، قسنطينة، وبجاية. وقد حمل هؤلاء المهاجرون معهم رصيذا حضاريا ومعماريا غنيا، سرعان ما تجلى في نمط البناء، وتنظيم الأحياء، والزخرفة، وحتى في تصميم البيوت والحدائق. وأسهموا بشكل كبير في تشكيل ملامح عمرانية جديدة أو إغناء ما هو قائم، مما جعل التأثير الأندلسي عنصرا بارزا في الهوية العمرانية للجزائر خلال العهد العثماني.

<sup>1</sup>. رشيد مريخي، مرجع سبق ذكره، ص 149.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 448.

كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر أثر بالغ في تنشيط المجال العمراني، حيث أسهم استقرار الأندلسيين في عدة مناطق من البلاد في إحداث نهضة عمرانية لم تشهدها الجزائر منذ العهد الحمادي<sup>1</sup>. فقد أدى هذا التوافد البشري والثقافي إلى إحياء عدد من المراكز الحضرية، وظهرت معالم هذا التأثير بشكل واضح منذ مطلع القرن 15م، من خلال إعادة بناء المدن والقرى المندثرة، وتأسيس أحياء جديدة ذات طابع عمراني متميز. ومن الأمثلة الدالة على ذلك مدينة برشك، التي أعاد الأندلسيون بناءها من أنقاضها، وأصبحت بفضلهم مدينة نابضة بالحياة، يشكل الأندلسيون غالبية سكانها، وهو ما يعكس مدى تأثيرهم المباشر في تعمير وتوسيع النسيج العمراني الجزائري<sup>2</sup>.

ومن أبرز المدن التي تأثرت أو أسست من طرف الأندلسيين نجد مدينة القليعة التي أسسها الأندلسيون بعد استقرارهم بالمنطقة، ومدينة البليدة التي أنشئت عام 942هـ/ 1535م، على يد سيدي أحمد الكبير بمحاذاة موقع مدينة خزرونة القديمة، بعد أن منح خير الدين بن يعقوب أراضيها للأندلسيين وقد بادر هؤلاء فور استقرارهم ببناء الحمامات والمخازن والمساجد، مما يؤكد مشاركتهم النشطة في تأسيس نسيج عمراني منظم متعدد الوظائف. كما كانت مدن عنابة، ومستغانم، وأرزيو، وتلمسان من أهم المراكز التي استقبلت أعدادا كبيرة من الأندلسيين، حيث أقاموا بها أحياء خاصة، وعندما ضاقت تلك المدن بسكانها الجدد، أسسوا على أطرافها قرى ومستوطنات جديدة، لا يزال بعضها يحتفظ بأسماء أندلسية إلى اليوم، مثل قرية الأندلس غرب مدينة وهران، وهو ما يعكس الأثر العميق والمستديم للهجرة الأندلسية في تشكيل الخريطة العمرانية للجزائر<sup>3</sup>.

لقد كان للأندلسيين دورا محوريا في النهضة العمرانية والفنية التي عرفتتها المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، حيث نقلوا معهم خبرات متقدمة في مجالات العمارة والزخرفة، انعكست على ملامح البناء في عدد من الحواضر الجزائرية. ومن أبرز مظاهر هذا التأثير، براعتهم في صناعة الخزف الملون المعروف بـ الزليج، الذي استخدم على نطاق واسع في

<sup>1</sup> للتفصيل والإستزادة ينظر: علي بن الشيخ، العلم والثقافة في حاضرة بجاية خلال العهد الحمادي، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 13، العدد 2، أكتوبر 2022.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص ص19.18.

<sup>3</sup> مرجع نفسه، ص 19.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

تبليط الأرضيات وتزيين الجدران والمساجد والعيون وحتى واجهات الأبواب، مضيفا بذلك لمسة جمالية مميزة للفضاء المعماري. كما ظهرت ورشات متخصصة في معالجة الرخام وتحضير الجبس، إلى جانب استخدام الأجر والقرميد المجوف في تغطية الأسطح، خاصة في المدن مثل تلمسان وبعض المدن الساحلية الأخرى، مما يعكس الطابع الأندلسي الأصيل المتمازج مع البيئة المحلية<sup>1</sup>.

وبالإضافة إلى هذا قام الأندلسيون بإنشاء المرافق العامة، بإقامة العيون وإنشاء السواقي وجلب المياه إلى المدن وتنظيم الري، وكان حظ مدينة الجزائر من هذه الأعمال الخيرية وافرا، حيث تم اكتشاف العيون الغزيرة بضواحي الجزائر وجلب مياهها وتوزيعها على العيون داخل المدينة، فعلى سبيل المثال: عين الحامة، جلبت مياهها من طرف المهندس الأندلسي "اسطى موسى" الذي تمكن بفضل مهاراته من إيصال مائها إلى مدينة الجزائر على بعد 4.8 كلم وبغزارة مياه تقدر بتسع لترات في الثانية وذلك في عهد الباشا مصطفى كوسة (1610 - 1613)<sup>2</sup>.

وكنموذج للتأثير الأندلسي في المجال العمراني نجد مدينة بجاية التي طبعها الأندلسيون بأسلوبهم الرائع في ميدان العمارة، ويمكن استقراء ذلك من خلال وصف حسن الوزان لعمران بجاية رغم أنه لم يصرح بأن ذلك من عمل أهل الأندلس<sup>3</sup>، حيث يقول: "... ودورها كلها جميلة، وفيها جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة الى زوايا المتصوفة وحمامات، وفنادق ومارستانات<sup>4</sup>، وكلها صروح مشيدة حسنة البناء، واسواقها كذلك جميلة منسقة أحسن تنسيق..... وتوجد قرب الجبل قلعة كبيرة متينة الجدران مزخرفة بالفسيفساء والجص المجزع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازورد العجيبة<sup>5</sup>. وإن لم يشر حسن الوزان إلى أن هذه الأعمال الفنية هي من أصل أندلسي، فإن

1. رفيق شلابي، التأثير الأندلسي المعماري خلال العهد العثماني - قسنطينة نموذجا-، المجلد9، العدد1، 2022، ص13.

2. ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 20.

3. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 155.

4. المارستانات: جمع مارستان وهو مصطلح كان يستخدم في العصور الإسلامية للإشارة الى المستشفيات أو دور العلاج.

5. حسن الوزان، مرجع سبق ذكره، ص 50.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

المؤرخ الإسباني مرمول كاربخال Luis Del Marmol Carvajal قد أشار إلى ذلك اثناء وصفه لمدينة بجاية حيث قال: "... وهي مبنية على تلال تمتد فوقها الى ان تبلغ أعلى الجبل حيث يوجد حصن حصين وقصور على النمط الموريسكي ليس لها من المنعة قدر مالها من الرونق والجمال..."<sup>1</sup>.

أما في العمارة الدينية نجد مسجد عبد الرحيم والذي يتواجد في القصبة العليا، بني هذا المسجد من طرف رجل أندلسي اسمه مصطفى بن محمد الأندلسي، سنة 1089هـ/1678م، في عهد الحاج محمد الذي كانت فترة حكمه 1081.1091هـ/1671.1681م<sup>2</sup>.

يتبين من خلال تتبع الحضور الأندلسي في الجزائر أن هذه الفئة المهاجرة لم تكن مجرد عنصر بشري واعد، بل شكلت رافدا حضاريا حقيقيا ساهم في إثراء العمران الجزائري على مستويات متعددة. فقد جلب الأندلسيون معهم معارف وتقنيات متقدمة في فنون البناء والزخرفة، وتركوا بصمتهم الواضحة في تصميم المدن، وتشيد المساكن، وتزيين الفضاءات العامة والدينية. كما تجلى تأثيرهم في تأسيس مدن جديدة وإحياء أخرى مهجورة، وفي إرساء نمط عمراني يجمع بين الأصالة الأندلسية والخصوصية المحلية الجزائرية، وهو ما يعكس تقاعلا ثقافيا خلاقا أسهم في تشكيل هوية عمرانية متميزة، ما زالت بعض معالمها قائمة وشاهدة الى يومنا هذا.

### 2. التأثير في الفنون والزخرفة:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني ازدهارا واضحا في مجال الفنون والزخرفة، نتيجة لتفاعل ثقافات متعددة أهمها العثمانية والأندلسية، وهو ما أدى إلى تطور الذوق الفني المحلي وتنوع أشكال التعبير الفني. فقد كان للفنون دور كبير في التعبير عن الهوية والذوق العام، حيث برزت مظاهر فنية راقية في فن الخط والزخرفة الذي ارتبط بالمجالين الديني والثقافي، كما تطورت الموسيقى من خلال ادخال آلات وانماط جديدة. وكل هذا يعكس مدى تأثر المجتمع الجزائري بالفنون الوافدة، وقدرته على تكييفها مع خصوصياته الحضارية.

1. مرمول كاربخال، افريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1989، ص377.

2. الحاج محمد سعيد، مرجع سبق ذكره، ص97.

## **1.2. فن الزخرفة:**

يعد فن الزخرفة من أبرز الفنون التي ازدهرت في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تأثرت البلاد بالذوقين العثماني والأندلسي في هذا المجال. وقد استخدم هذا الفن لتزيين المساجد والمصاحف والمباني، مما أضفى طابعا جماليا وروحيا مميزا على العمران والثقافة العامة.

استخدم فن الزخرفة الكتابية لتزيين العمائر والتحف الفنية، وهو المجال الذي أبدع فيه المسلمون عامة كبديل عن التصوير. وتظهر الزخرفة الكتابية العثمانية على جدران المساجد والمباني، لكنها نادرا ما استخدمت في النسيج. كما نجدها بارزة في الخشب والنحاس، في عبارات مثل "ما شاء الله" بقصد دفع العين والحسد. ومن أبرز مظاهر هذا الفن الخط المثنى، الذي يقرأ من اليمين الى اليسار وبالعكس<sup>1</sup>.

كما اشتهر الأندلسيون باستخدام الزخارف والنقوش الكتابية، فقد قاموا بتخصيص مساحات لتشكيلها بإتقان، وهو ما يتجلى في العديد من مساجد الجزائر. ويعد فن الزخرفة في تلمسان مثالا بارزا على هذا التميز، حيث تظهر بوضوح في محاريب مساجدها مثل مسجد الجامع الكبير، وجامع سيدي بلحسن، وجامع العباد، الذي ما زال يحتفظ بروعة زخرفته ونقوشه كدليل على براعة المهندسين الأندلسيين الذين أبدعوا في تشييدها<sup>2</sup>.

## **2.2. الموسيقى:**

حظيت الموسيقى بمكانة بارزة في الحياة الثقافية للجزائر خلال العهد العثماني، حيث شكلت إحدى وسائل التعبير الفني والاجتماعي. وقد تأثرت الموسيقى الجزائرية آنذاك بالموروث الأندلسي من جهة وبالعناصر العثمانية الوافدة من جهة أخرى، مما أسفر عن مزيج فني مميز يعكس تفاعل الثقافات داخل المجتمع الجزائري.

تعتبر الموسيقى العثمانية من المؤثرات البارزة على المجتمع الجزائري حيث أعطت نكهة خاصة للفن الجزائري، وقد عمل العثمانيون على ادخال طابعهم إلى الجزائر وأعطوها طابعا مميزا. وقد ظهرت التأثيرات العثمانية في الموسيقى الجزائرية من خلال الأنواع والآلات

<sup>1</sup> الحاج محمد سعيد، مرجع سبق ذكره ، ص 169.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص ص26,25.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

المستخدمة، وقد تجسد هذا التأثير في طابعه الروحي، وهذا ما يسمح لنا اليوم برؤية ما تبقى من نماذج موسيقية للحضور العثماني<sup>1</sup>.

وكان للمورسكيين الأندلسيين تأثير واضح في الحياة الفنية في الجزائر، حيث تركوا بصمتهم الخاصة في مجال الموسيقى والغناء. فقد انتشرت بينهم عادة نظم الموشحات وتلحين الأغاني، مع بنيتها اللغوية وأسلوب إنشادها وفق التقاليد الأندلسية، والتي تعود جذورها الى القرن الرابع الهجري، في عهد عبد الرحمن الناصر، قبل أن تتطور لاحقا على يد كبار الموشحين مثل ابن زهر ولسان الدين بن الخطيب وابن زمرك وغيرهم<sup>2</sup>.

وبالإضافة إلى هذا، أدخلوا الآلات الموسيقية الأندلسية، وحافظوا عليها مثل العود والرباب والكمنجة والصنوج والطبيلة والطار والدربوكة، كما أحيوا المدائح النبوية والإخونيات وقصائد المدح والغزل ووصف الطبيعة، التي كانت تعزفها الأجواق الأندلسية في المواسم والأعياد والسهرات العائلية<sup>3</sup>.

ختاما، يظهر تأثير الوافدين إلى الجزائر خلال العهد العثماني بوضوح في المجالين العمراني والفني، حيث ساهم العثمانيون والأندلسيون في إثراء الطابع الحضري والثقافي للمدن الجزائرية. فقد نتج عن هذا التمازج تنوع معماري فريد جمع بين الأصالة المحلية والنفس العثماني والزخرفة الأندلسية، بينما عرفت الفنون، كالموسيقى والخط والزخرفة، تطورا ملحوظا جعل من الجزائر مركزا حضاريا يعكس غنى وتعدد روافده الثقافية.

---

<sup>1</sup> . chahrazed chalbi, Manifestations of ottoman influence on the art of music in Algeria, Almuqadimah of human and social studies journal, volume 9, nemuro 1, 2024, p 885.

<sup>2</sup> . ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 57.

<sup>3</sup> . المرجع نفسه، ص 134.

## المبحث الثاني: التأثير على العلم والآداب.

شكل قدوم الوافدين الى الجزائر خلال العهد العثماني عاملا مهما في إثراء الحياة العلمية والأدبية، حيث ساهمت هذه الفئات، كل حسب خلفيته الثقافية والدينية، في تنشيط الحركة الفكرية ونقل المعارف وتوسيع دائرة التعليم. فقد جلب العثمانيون معهم تجارب إدارية وثقافية من إسطنبول وبلاد الأناضول، بينما كان الأندلسيون رصيد حضاري غني في مجالات العلوم والآداب، وقد انعكس هذا التفاعل في انتشار المدارس والزوايا، وظهور علماء ومصنفات، وازدهار الأدب العربي خاصة في مجالي الشعر والحكايات الشعبية.

### 1. المؤسسات العلمية ودور التعليم.

#### 1.1. المدارس والزوايا:

كان للوافدين دورا كبيرا في تأسيس المدارس القرآنية والزوايا، خاصة الأندلسيين الذين اهتموا بتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية. كما ساهم العثمانيون في دعم الكتاتيب والمساجد التي كانت مراكز للتعليم.

ومن الحكام العثمانيين نجد الباي محمد بن عثمان<sup>1</sup>، الذي أولى اهتماما بالغا ببناء المؤسسات التعليمية، إدراكا منه لأهمية العلم في نشر الاستقرار وتعزيز الهوية الإسلامية. فقد قام بتشبيد عدد من المدارس في مدن الغرب، ومن بينها مدرسة في مدينة معسكر، وأخرى في وهران، وثالثة في مدينة مازونة، غير أن المدرسة المحمدية بمدينة معسكر تعد من أبرز هذه المؤسسات. وقد أشار إليها المؤرخ أبو راس الناصري في مؤلفاته، مؤكدا دورها في تخريج العديد من الطلبة والعلماء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> . الباي محمد بن عثمان: الباي محمد بن عثمان الكردي او الباي محمد الكبير كما هو شائع عنه، رجل من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن 18م، إذ حكم بايلك الغرب من 1779م إلى 1797م، للمزيد من المعلومات أنظر: بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير - باي وهران 1779-1797: حياته وسيرته، عصور، المجلد2، العدد3، 2003، ص ص151.158.

<sup>2</sup> . بلقاسم عياشي، قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006.2007م، ص248.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

ونجد في قسنطينة صالح باي<sup>1</sup> الذي أسس المدرسة الكتانية عام 1776م، لتعليم مختلف العلوم، كما أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا وكتابا ومكتبة<sup>2</sup>.

وكان للجماعة الأندلسية الموريسكية دور بارز في دعم الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني، خاصة في مقاطعة الجزائر. فقد ساهم أهل العلم والصلاح منهم في إنشاء عدد من الزوايا والمعاهد العلمية المرموقة، التي سرعان ما تحولت إلى مراكز إشعاع علمي وثقافي. وقد جذبت هذه المؤسسات طلاب العلم من مختلف الجهات، لما كانت تقدمه من تعليم متكامل يجمع بين العلوم الدينية التقليدية كالفقه والنحو والتفسير، وبين المعارف العقلية والعصرية مثل الحساب والفلك والمنطق والطبيعة والتاريخ. ويتضح هذا التنوع العلمي من خلال محتوى العديد من إجازات إنهاء الدروس التي كانت للطلبة بعد استيفائهم مراحل التحصيل العلمي في هذه المعاهد<sup>3</sup>.

وهكذا اضطلعت الزاوية الأندلسية، التي أسسها المهاجرون الأندلسيون في مدينة الجزائر، بدور فعال في تنشيط الحياة الدينية داخل المدينة. فقد ساهمت في نشر ثقافة الوقف بين افراد الجالية الأندلسية، وهو ما انعكس إيجابا على الأوضاع الاجتماعية والدينية، من خلال تمويل الأنشطة العلمية والخيرية. كما ساهمت الزاوية في إحياء النشاط العلمي، حيث خصصت لتدريس العلوم الدينية، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الحديث النبوي، فضلا عن إقامة الصلوات والعبادات. ويلاحظ أن عددا من الأوقاف التي أسست لصالح هذه المؤسسة كانت مشتركة بين الحرمين الشريفين والأندلس، ما يدل على امتدادها الرمزي والديني. وقد استمرت هذه

---

<sup>1</sup>. صالح باي: هو صالح بن مصطفى الإزميلي، من أصول عثمانية، ولد سنة 1725م، نشأ في اسرة متوسطة الحال، هاجر للجزائر بسبب ظروف اجبارية، بدأ كعامل بسيط في مهنة الإنكشارية الى ان أصبح باي على بايلك قسنطينة، انظر: طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008. ص 65.61.

<sup>2</sup>. رشيدة شكري معمر، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1830.1518م، مجلة معارف، العدد 20، 2016، ص 100.

<sup>3</sup>. ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 56.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

المؤسسة في أداء دورها إلى أن صادرتها سلطات الاحتلال الفرنسي، واستولت على أوقافها سنة 1843م<sup>1</sup>.

تعد زاوية أهل الأندلس، الملحقة بالمسجد الذي أنشأه بعض صلحاء الأندلس بحي مسيد العدالة بمدينة الجزائر، من الزوايا التي أنشأها الأندلسيون في العاصمة. وقد ظلت هذه الزاوية منذ تأسيسها سنة 1639م مقصدا لعدد كبير من الطلبة، واستمرت في أداء دورها التعليمي إلى ان أصابها الإهمال، وتهدم جزء منها خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر. وقد عرف من رجالات هذه الزاوية، الذين تولوا الإشراف على مختلف خدماتها الاجتماعية والثقافية، عدد من الأندلسيين، حسب ما ورد في وثائق المحاكم الجزائرية، من بينهم محمد بن محمد الأيلي، محمد العنجدون، محمد السميع، ابن علي الأندلسي، الحاج أحمد بن قاسم، علي بن علي الأندلسي، وغيرهم كثير. وقد تولى هؤلاء الفقهاء والوكلاء والنظار الأندلسيون الإشراف على أوقاف الأندلسيين وتمتية مداخلها داخل وخارج مدينة الجزائر في أواخر القرن 18م، ما لا يقل عن 142وقفا، منها 75وقفا مشتركا بين مؤسسة الأندلسيين ومؤسسة الحرمين وبعض أوقاف عامة الناس<sup>2</sup>.

ومن أبرز المؤسسات العلمية الأندلسية كذلك زاوية سيدي أحمد الكبير الأندلسي بمدينة البليدة، والتي تقع بمحاذاة ضريحه، وقد كانت تمثل معلما دينيا وتعليميا هاما في المنطقة. لم يقتصر دورها على الجانب الروحي من حيث التبرك بالمكان، بل تجاوز ذلك إلى القيام بمهام تعليمية، كتحفيظ القرآن الكريم، وتدریس مبادئ الكتابة والقراءة. وقد تخرج من هذه الزاوية عدد كبير من طلبة العلم، أغلبهم من نواحي متيجة وجبال الأطلس البليدي، خاصة من قبائل بني صالح وبني خليل، مما يدل على إشعاعها العلمي الواسع في الجهة الوسطى من البلاد<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Albert devoux, les édifices religieux dans l'ancien Alger, Typographe Bastide, Extrait de la R A,1870 ,p p175-176.

<sup>2</sup> . ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 56.

<sup>3</sup> . مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 151.

## **2.1. التعليم:**

يمكن القول ان الاهتمام بالتعليم في العهد العثماني بالجزائر لم يكن من أولويات الدولة، اذ انحصرت اهتمامات السلطة حينها في الحفاظ على الاستقرار السياسي، والدفاع عن الحدود، وجمع الضرائب لصالح بيت المال. وإذا حاولنا تتبع مظاهر العناية بالتعليم خلال تلك الفترة، فإننا نجد بعض المبادرات الفردية المحدودة، كما هو الحال مع الباي محمد الكبير وصالح باي، اللذين قدما دعما للعلماء وساهما في بناء المساجد والزوايا. غير ان هذه الجهود لم تكن ناتجة عن سياسة مدروسة، بل جاءت بدافع ديني، ولم تتجاوز كونها تلبية لحاجات روحية، أكثر منها استجابة لحاجة علمية او معرفية حقيقية. كما يمكن اعتبارها في الكثير من الأحيان وسيلة لكسب رضا العامة، والحصول على الثناء والشهرة، أكثر من كونها إصلاحات تعليمية حقيقية<sup>1</sup>.

أما الأندلسيون فقد كان لهم دور بالغ الأهمية في تنشيط الحركة العلمية بالجزائر، حيث تصدوا لمهام التعليم في عدد من المدن والقرى، وأدخلوا عليها أساليبهم التعليمية المميزة. ومن بين أبرز ما قدموه، عدم الاكتفاء في الكتابات بتحفيظ القرآن الكريم فقط، بل أضافوا إلى ذلك تعليم الحديث النبوي الشريف، ومبادئ مختلف العلوم الشرعية واللغوية، كما أولوا عناية خاصة بروايات القراءات القرآنية<sup>2</sup>. ولعل اهم اسهام للمدرسة الأندلسية ببجاية يتمثل في تجديد طريقة الدراسة وتطوير أساليب تلقي المعلومات، فتجاوزوا الطريقة المغربية التقليدية المعتمدة أساسا على تحفيظ القرآن ورواية الحديث والاطلاع على مبادئ علوم الشرع واللغة، الى أساليب متطورة لا تقتصر فقط على الحفظ وإنما تولي أهمية خاصة للبحث والتفكير وإلقاء الأسئلة والمحاورة والمذاكرة بهدف افهام الطالب وترسيخ المعلومات في ذهنه<sup>3</sup>.

اما البرامج الدراسية من متون وشروح وتعليقات فقد اكتسبت هي الأخرى طابعا أندلسيا سواء في طريقة تأليفها أو الأساليب المتبعة في تدريسها، فمع المحافظة على أمهات الكتب التقليدية

<sup>1</sup>. زهية دباب- وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 01، 2021، ص ص181-182.

<sup>2</sup>. فوزية لزغم، أثر الأندلسيين في الحياة العلمية والدينية والديبية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد خاص، 2022، ص 768.

<sup>3</sup>. ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 103.

والاستمرار في تدريسها مثل مجامع الحديث وفي مقدمتها كتاب الموطأ ومصنفات الفقه مثل مدونة الإمام سحنون ورسالة أبي زيد القيرواني وكتب الادب والطب والحساب، فإن المؤلفات الأندلسية سواء ما نقل من الأندلس أو ألف بالمغرب الأوسط عامة وبجاية خاصة أصبحت محل اهتمام كبير، فاعتمدها الأساتذة، وأقبل عليها الطلبة، وأصبح لها مكان خاص في مضمون البرامج الدراسية في مختلف المساجد والمدارس. فاشتهر منها كتاب القراءات لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر، وتفسير ابن عطية، ومختصر ابن حاجب في الأصول<sup>1</sup>.

وقد برز عدد من الفقهاء الأندلسيين في التدريس بمساجد العاصمة ومدارسها وكتاتيبها، وفي مقدمتها الجامع الأعظم، وجامع حسين مزمورتو بباب عزون، بالإضافة الى مدرسة الأندلسيين، التي كانت من أبرز المعالم العلمية التي عرفت نشاطا ملحوظا بفضلهم<sup>2</sup>.

## 2. الخط والكتابة:

شكل التفنن في الخط والكتابة وسيلة من وسائل التعبير الجمالي خلال العهد العثماني، ففي ظل غياب فن التصوير، برز الخط كأداة أساسية لإظهار المواهب الفنية المحلية<sup>3</sup>. يرى معظم الباحثين أن الخط المغربي مشتق من الخط الأندلسي، مستندين في ذلك الى قول ابن خلدون الذي أشار إلى أن الأندلسيين، بعد طردهم من بلادهم، حملوا معهم إلى بلاد المغرب صنائعهم وحرفهم، من بينها الخط الأندلسي. وقد ساد هذا الخط في المنطقة وطغى على غيره، حتى تطور لاحقا ليعرف باسم الخط المغربي<sup>4</sup>.

كان الخط العثماني، إلى جانب الخط الأندلسي السائد آنذاك، من أبرز الخطوط التي دخلت الجزائر مع قدوم الخطاطين العثمانيين وأهل العلم. ومن أشهر هؤلاء الخطاط حسن بن عبد الله المعروف بالجزائري الرومي، الذي اشتهر بحسن خطه وإتقانه. وقد كان في الأصل مملوكا للدرويش علي "الكاتب القسنطيني"، وأخذ عنه فن الخط بأنواعه حتى أتقنه، ثم فر من

<sup>1</sup> مرجع نفسه، ص 105.

<sup>2</sup> فوزية لزغم، مرجع سبق ذكره، ص 768.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 448.

<sup>4</sup> عبد القادر رحمون، الخط المغربي والهوية المغيبة في الجزائر، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 07، العدد 02، 2022، ص 389.

### الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

القسنطينية إلى الجزائر، وكان يعرف سابقا باسم "الدولار" فغير اسمه إلى "حسين". وبعدها انتقل إلى القاهرة وأقام فيها حتى وفاته سنة 1125هـ، وقد عرف بشهامته وبراعته في صناعة التوريق، كما نقل هذه المهارات إلى الجزائر وساهم في نشاط الخط العثماني، وكان له فضل كبير في تعليم عدد من الجزائريين وإتقانهم لهذا الفن<sup>1</sup>.

ولقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين وحتى قارنهم بعض الكتاب بأنهم آية في جمال الخط، ومن هؤلاء أبو عبد الله بن عطار وقد عرف بجودة الخط وكان يقصده العامة والخاصة في الوثائق والعقود، كما اشتهر بالنسخ وحسن الخط وأصبح من المشهود لهم بذلك، واشتهر محمد الزجاجي بالنساخت حتى أصبح له فيها مهارة وطاقة كبيرة<sup>2</sup>.

### 3. اللغة:

لقد كان للوافدين إلى الجزائر تأثير بالغ على اللغة المحلية، حيث جلبوا معهم العديد من المفردات والتعبيرات اللغوية الخاصة بهم، مما أثر في تطور اللغة في المنطقة. فقد اندمجت اللغات الوافدة مع اللهجة المحلية، مما ساهم في إثراء اللغة في الجزائر بخصائص جديدة. نظرا لطول فترة التواجد العثماني في الجزائر، والتي امتدت لأكثر من ثلاث قرون، فقد تركت اللغة العثمانية بصمتها في كلام الجزائريين. وبما أن هذه اللغة كانت لغة السلطة الحاكمة، فقد أصبح من الضروري على السكان استخدام عدد من المفردات المرتبطة بالمجالات السياسية، الإدارية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، وحتى العسكرية. وقد تبنى الجزائريون من هذه المفردات ما لبي احتياجاتهم التواصلية اليومية، فدخلت تدريجيا في الاستعمال العام، ولا يزال عدد منها متداولاً في اللسان الجزائري المعاصر إلى يومنا هذا<sup>3</sup>.

ومن المصطلحات العثمانية المتداولة في الجزائر نذكر:

1. عبد الرحمان نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1082 . 1246هـ / 1671 . 1830م) مقارنة من خلال الوثائق الأرشيفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2017/2018م، ص 168.

2. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005.2006، ص 55.

3. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 145.146.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

- الولاية: وتعني الولاية وهي أكبر التقسيمات الإدارية فقد كانت الدولة العثمانية مقسمة الى ايلات.

- البايك: أي المقاطعة أو الناحية التي يترأسها الباي، وهذه الكلمة لا زال مستعملة حتى يومنا هذا، كأن نقول مثلا رزق البايك من أرض أو عقار تابع للسلطة الدولة أو طريق البايك وهو الطريق العام<sup>1</sup>.

- أفندي: كلمة استعملت كثيرا في الجزائر وفي الوثائق المحاكم الشرعية مربوطة باسم القاضي الحنفي، مثل "القاضي الحاج محمد أفندي" سنة 1711م، والقاضي أبو العباس أحمد أفندي سنة 1781م<sup>2</sup>.

غلب على الوجود العثماني بمدينة الجزائر الطابع العسكري، وقد انعكس هذا الطابع على اللغة المستعملة بين السكان، حيث تسربت الى كلامهم اليومي العديد من الكلمات والالقب العثمانية. ويرجع ذلك الى العلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم، اذ كان عامة الناس يميزون رجال السلطة تبعا لرتبتهم العسكرية وما تخوله لهم من صلاحيات. فصار من الشائع استعمال القاب محددة عند الإشارة الى كل فئة من فئات رجال السلطة، مثل:

- الأغا: وتعني السيد، وقد استعمل لدلالات عديدة منها: تطلق لوحدها على رئيس الجيوش البحرية، وأغا العرب وهو قائد فرسان المكون من القبائل الموالية للسلطة العثمانية، وباشا الأغا وتعني رئيس الإنكشارية.

- النوبانجية: ومفردها نوبانجي، وتعني رجال الحرس الذين يتناوبون على الحراسة<sup>3</sup>.

والى جانب اللغة العثمانية، ساهم الاندلسيون في نشر لهجتهم الحضرية المميزة، التي كانت سائدة في غرناطة، وتميزت برقة مفرداتها ونطق القاف كألف. ولكن مع تقلص وجودهم وتقدم الاحتلال الفرنسي، تراجعت هذه اللهجة، ولم تبق آثارها إلا في شرشال حتى القرن الماضي. كما نشر الاندلسيون اللسان العربي الدارج في المناطق الجبلية، الى جانب اللهجات البربرية.

<sup>1</sup>. إبراهيم سعيود، تأثيرات الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، 2015، ص 160.

<sup>2</sup>. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 149.

<sup>3</sup>. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 150-151.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

أما في مدينة الجزائر، فقد ساهم الموريسكيون في شيوع لغة "الفرنكا" المتأثرة بالإسبانية، نتيجة استمرار اللغة القشتالية بين العائلات الموريسكية<sup>1</sup>.

ومن بين الكلمات الاندلسية التي لاتزال متداولة في اللهجة الجزائرية، نذكر منها<sup>2</sup>:

اللفظ بالهجة الجزائرية	المدلول	اللفظ باللسان الاسباني
بابور	باخرة	Babor
براقة	كوخ	Barroca
بلاصة	ساحة	Plaza
بلوزة	لباس	Blusa
بندير	دف	Pandera
لامبة	مصباح	Lambara
سمانة	أسبوع	Semana
كوزينة	المطبخ	Cocina
كنابي	سرير من خشب	Canapé
الكوشة	الفرن	Cocha
كبوط	معطف	Capote
غالطه	خطأ	Falta
برافو	ممتاز	Bravo
بلاكة	لافتة	Placa
بلكون	شرفة	Balcon
دورو	نقد اسباني	Duro
كارو	عربة	Carro

1. ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية .....، مرجع سبق ذكره، ص53.

2. حنيفي هلايلي، دراسات وابحاث في التاريخ الاندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 162.

### الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

Marca	النوع - الصنف	الماركة
Sala	قاعة فسيحة	صالة
Sandalia	نعل	صندالة
Zapato	حذاء	صباط
Fabrica	معمل	فبريكة
Cardas	آلة تستعمل في مشط الصوف	قرداش
Nana	الجدة الحاضرة	نانة
Carta	ورقة اللعب	كارطة
Lata	قطعة من الحديد الأبيض	لاطة

يتضح من خلال ما سبق أن الوافدين الى الجزائر، سواء الأندلسيين أو العثمانيين، قد تركوا اثرا عميقا في الجانب اللغوي. فقد ساهم الأندلسيون في ترسيخ لهجتهم الأندلسية ونشر اللسان العربي الدارج في المناطق الجبلية، كما أدخلوا مفردات وتعابير ذات أصل اسباني في أوساطهم، بينما أثر العثمانيون من جانبهم بإدخال العديد من الكلمات العثمانية، خاصة في المجالات العسكرية والإدارية. وقد تبنى السكان هذه المفردات حسب الحاجة، ولا تزال بعض آثارها واضحة في اللهجة الجزائرية المعاصرة، مما يعكس التفاعل الثقافي واللغوي الذي شهدته البلاد في الفترة العثمانية.

## المبحث الثالث: التأثير على العادات والتقاليد.

لم يكن تأثير الوافدين الى الجزائر خلال العهد العثماني مقتصرًا على الفنون والعمارة والتعليم فحسب، بل امتد ليشمل مظاهر الحياة اليومية، وخاصة في ميدان العادات والتقاليد. فقد ساهمت الفئات الوافدة، وعلى رأسها العثمانيون والأندلسيون، في تشكيل ملامح جديدة للثقافة الشعبية الجزائرية، من خلال ما جلبوه من أنماط سلوكية وعادات اجتماعية، سواء في اللباس أو المطبخ أو طرق الاحتفال بالمناسبات الدينية والاجتماعية. وقد أدى هذا التلاقح الثقافي الى نشوء مزيج فريد يجمع بين العناصر المحلية والعثمانية والأندلسية، ما أضفى على المجتمع الجزائري طابعا مميزا لا يزال قائما في العديد من المناطق الى يومنا هذا.

### 1. اللباس والمطبخ:

#### 1.1. اللباس:

تظهر التأثيرات المباشرة للعثمانيين في لباس سكان مدينة الجزائر من خلال طبقة الكراغلة لكونهم حلقة وصل بين العثمانيين والسكان المحليين. ويذكر سبنسر أن جميع الجزائريين، ما عدا العثمانيين، كانوا يرتدون لباسا بسيطا، بينما اعتنى الكراغلة بلباسهم لأنه تقليد ورثوه عن آبائهم<sup>1</sup>.

وتظهر هذه التأثيرات من خلال بعض الألفاظ والأنواع التي تعود أصولها الى اللغة العثمانية، مثل "الشريوش" أو "الطربوش" المأخوذة من كلمة "سربوش"، و"المحرمة" (المنديل)، و"التقاشير" من الكلمة العثمانية "قلشين"، و"زدم" أي محفظة النقود من "جزدام" و"الحرمة" التي تعني الحذاء. أما القفطان، فقد كان من ملابس الفخامة، انتشر في المجتمع بفضل العثمانيين، وكان يلبسه الرجال والنساء، ويصنع من القطن أو الساتان الدمشقي، ويطرز بخيوط الذهب أو الفضة، ويغلق بقفلين عند البطن. كما انتشرت أيضا ملابس أخرى مثل الفرملة، الكراكو،

1. وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبانية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006،

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

والغليظة، وكلها تعكس التأثير العثماني في المظهر العام للباس التقليدي<sup>1</sup>. ونجد أن النساء الجزائريات تأثرن بطراز القسطنطينية عن طريق المبعوثين العائدين من مهامهم لدى الدولة العثمانية، أو عن طريق النسوة اللواتي جنن مع أزواجهن إلى الجزائر. ويظهر التأثير العثماني في اللباس النسوي في فن التطريز بالخیوط الحريرية والقطنية والذهبية. بالإضافة إلى الحلي الذي كانت تترزين به المرأة<sup>2</sup>.

أما في الحلي فتظهر البصمة العثمانية فيما يعرف بـ "العصابة" التي كانت تصنع من الفضة، لكنها نادرا ما تكون من ذهب، ومكونة من سبع قطع مستطيلة الشكل مزخرفة بزخرفة نباتية. وكان لهذه العصابة قصة أسطورية بحيث عند قدوم العثمانيين إلى مدينة الجزائر قدم لهم سكان منطقة بوزريعة الكسكس، في حين كانوا يدبرون لهم مكيدة، فحذرت إحدى النساء الجزائريات زوجها العثماني وذلك بوضع المرأة عصابة من الفضة على جبينها كإشارة تحذيرية على وجود مكيدة ففشلت المكيدة، وبعدها بدأت تترزين به نساء مدينة الجزائر. وإلى جانب العصابة نجد "العقد السلطاني" أو "الشنوف السلطاني" نسبة إلى سكة النقود الذهبية المعروفة بالسلطاني ويستخدم لتزيين عنق المرأة<sup>3</sup>.

كما كان للجالية الأندلسية أيضا تأثير في مجال اللباس، حيث بقيت بعض الألبسة محافظة على شكلها وتسميتها الأصلية، في حين تغيرت أسماء أخرى وأصبحت تعرف بتسميات محلية، رغم احتفاظها بالطابع الأندلسي. ومن الملاحظ أيضا أن بعض هذه الألبسة تطورت مع مرور الوقت، بعدما قام السكان المحليون بإدخال تعديلات عليها، حتى وصلت إلى الشكل الذي نعرفه اليوم<sup>4</sup>.

وقد نجح الأندلسيون الموريسكيون في التأثير على أذواق سكان عدد من المدن الجزائرية، مثل الجزائر، البلدية، القليعة، وشرشال، حيث أصبح نمط لباسهم شائعا بين السكان، خاصة لدى النساء. حيث كان جهاز المرأة يتكون من عدة قطع من الملابس، منها: القمجة، الطوق،

<sup>1</sup>. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 79.

<sup>2</sup>. المرجع نفسه، ص 84.

<sup>3</sup>. المرجع نفسه، ص 85.

<sup>4</sup>. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 135.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

الفستان، المحرمة، المشبير، الفرملة، الجابادولي، الصارمة، القفطان، الصدرية، المحيرمة، القرباطة، البنيقة، الملاية، البليغة، الريحية، وغيرها. ومن بين هذه الملابس، تميزت القندورة بشكل خاص، وأصبحت واسعة الانتشار، وكانت تلبس عادة فوق الغليظة. وتتميز القندورة بأكامها الواسعة المطرزة بخيوط الذهب والفضة (الشبيكة)، التي تكون على شكل صفيين متوازيين، كما تزين بأقفال ذهبية، وتشد على الجسم بأحزمة حريرية مطرزة ومرصعة بقطع من الذهب الخالص، مما يمنح المرأة مظهرا فخما وجميلا<sup>1</sup>.

ومن الألبسة التي كانت في طريق الانتشار، وبفضل الأندلسيين عادت إلى الحياة والانتشار بين الجزائريين من جديد، "الشاشية" التي جلبها الأندلسيون معهم إلى البلدان المغربية وأنقنوا صناعتها حتى راجت بين السكان، وهي عبارة عن قلنسوة حمراء كان يضعها العلماء والطلبة والتجار، واستمر وجودها إلى يومنا هذا، وهناك شاشية أخرى خاصة باليهود وتكون سوداء اللون<sup>2</sup>.

أما المرأة اليهودية، فلم يكن مظهرها يختلف كثيرا عن مظهر المرأة المسلمة، إذ كانت ترتدي "الفوطة" المصنوعة من الحرير أو القطن المزينة بخطوط لامعة، وتغطي شعرها ورأسها بالكامل بـ "المحرمة" أو "الوشاح" المصنوع من القطن أو الحرير والمطرز بالذهب، وذلك تأثرا بالعادات والأخلاق الإسلامية السائدة. كما استخدمت نفس "الكوفية" التي كانت تستعمل للزينة في المناسبات كالأفراح والأعياد، وكانت مطرزة بالذهب ومرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة أو الفضة. وعرفت أيضا "القباب" و"الحايك" المصنوع من الحرير أو الكشمير، والذي لم يكن خروجها من البيت ممكنا بدونه، إلى جانب "الخمار" أو "العصبة" التي توضع على الرأس كالتيجان للزينة، و"السروال النسائي الفضفاض" الذي يمتد حتى القدمين لدواع أخلاقية. كما كانت تتحلى بالحلي والجواهر التي تزين العنق والمعاصم والأقدام<sup>3</sup>.

1. ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، مرجع سبق ذكره، ص 52-53.

2. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 135-136.

3. المرجع نفسه، ص 136.

**2.1. المطبخ:**

عرف المطبخ الجزائري خلال العهد العثماني تنوعا كبيرا في الأطباق والعادات الغذائية، نتيجة اختلاط السكان المحليين بالوافدين من العثمانيين والأندلسيين وغيرهم، وهو ما ساهم في تشكيل تقاليد طبخ مميزة تجمع بين النكهات الشرقية والمتوسطية.

وفي جانب الأكلات، فقد ساهم تأثير الوافدين في إغناء المطبخ الجزائري، سواء من حيث تنوع الأطباق أو طرق الطهي، خاصة فيما يتعلق بالحلويات وأطباق الطواجن. وقد امتزجت التقاليد الأندلسية بالأذواق العثمانية والعربية وحتى الأوروبية، التي جاء بها العثمانيون، بينما حرص سكان المدن، وخاصة العائلات الحضرية، على الحفاظ عليها. كما نقل بعض الأسرى المسيحيين هذه الأطباق إلى مجتمعاتهم. ومن هنا يمكن القول إن تقاليد الطعام في الجزائر خلال هذه الفترة كانت تحمل نكهة أندلسية ممزوجة بطابع عثماني وقد عرفت العائلات الأندلسية واليهودية كيف تصون هذا الموروث وتبقى عليه حيا<sup>1</sup>.

من أبرز المأكولات التي جلبها العثمانيون معهم إلى الجزائر، خاصة في مجال الحلويات، نجد البقلاوة، وهي حلوى عثمانية الأصل، إلى جانبها الشوريا والبشماط. كما أدخلوا الخبز المجفف، والبرغل (وهو القمح المجفف)، وطبق الدولمة الذي يتكون من اللحم المفروم الممزوج بالأرز على شكل كرات صغيرة. ومن المشروبات اشتهرت الشربات وهي خليط الماء وسكر، وكان يقدم خصوصا في شهر رمضان من قبل بائع يعرف بـ "الشرباتجي". أما في مجال العجائن فقد انتشرت الرشته التي تستخدم لتحضير مرق خاص، وتشبهها في شكلها الكسكس، وكذلك الكفتة، وهي كرات من اللحم المفروم، والزلابية، التي تعد من الحلويات التي انتقلت إلى الجزائر مع العثمانيين وأصبحت من رموز المائدة الرمضانية<sup>2</sup>.

كما نقل المهاجرون الأندلسيون إلى البلاد المغاربية العديد من الحلويات والأطعمة التي لا تزال حاضرة في المطبخ الجزائري إلى يومنا هذا، مثل القطايف، المسمن، الفالدوج (الطمينة)،

1. مغيبة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 136.

2. عبد الرحمان بن نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 78.

المقروض، الزلابية، والاسفنج. وتعد هذه الأكلات ما يزين موائد الجزائريين خلال الأفراح والمناسبات الدينية، رغم أن الكثير لا يعلم أن أصل هذه الوصفات يعود إلى التراث الأندلسي<sup>1</sup>.

## **2. الاحتفال بالأعياد والمناسبات:**

لم تكن الأعياد والمناسبات في الجزائر خلال العهد العثماني مجرد طقوس دينية، بل كانت مرآة تعكس تمازج الثقافات وتداخل التقاليد بين فئات المجتمع المختلفة، بما في ذلك الوافدون من العثمانيين والأندلسيين وأهل الذمة. فقد ساهم هؤلاء في إغناء طابع الاحتفال وتنوع مظاهره، سواء من حيث الأطعمة المقدمة، أو الألبسة الملبوسة، أو حتى العادات المرتبطة بالتزيين والتجمع الأسري والشعبي. ومثلت هذه المناسبات فرصة لاندماج الوافدين في النسيج الاجتماعي الجزائري، مع احتفاظ كل فئة ببعض خصوصياتها التي أثرت في الحياة المحلية.

### **1.2. التأثير العثماني:**

كان العثمانيون يعلنون قدوم شهر رمضان أو حلول عيدي الفطر والأضحى بإطلاق طلقات نارية تعرف بـ "طلاقات الطوبجية"، وقد استمر العمل بهذا التقليد إلى غاية الاحتلال الفرنسي<sup>2</sup>. وفي عيد الفطر، كانت تنظم احتفالات تعرف بـ "الركب"، وتتخللها مبارزات بين شخصين، وترافقها موسيقى الفرقة الإنكشارية. أما في عيد الأضحى، بعد الصلاة تدبح الاضاحي ثم تطلق نيران البنادق مصحوبة بالموسيقى العسكرية<sup>3</sup>. وقد أشار كاتشارت Cathcart إلى أن في صبيحة العيد يسمح للعبيد بالخروج إلى المدينة، ويرفع العلم العثماني على القصر، أما العلم الجزائري فيرفع على التحصينات، وبعد المصارعة، يذهب كبار الموظفين والأعيان إلى قاعة الاستقبال حيث يكون الداوي جالسا على عرشه لتقبيل يده، والاحتفال بالعيد يدوم ثلاثة أيام<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص ص136-137.

<sup>2</sup>. رياض بن عراج، الأوضاع الاجتماعية بتلمسان إبان العهد العثماني -الاحتفالات والممارسات الدينية أنموذجا-، مجلة قرطاس الدراسات الحضرية والفكرية، المجلد 10، العدد 2، 2022، ص 109.

<sup>3</sup>. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص ص79-75.

<sup>4</sup>. جامس ليندر كاتشارت، مذكرات أسير الداوي كاتشارت قنصل أمريكا بالمغرب، ترجمة وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص31-32.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

عند ثبوت رؤية هلال رمضان، كانت تطلق 100 طلقة من مدفع كبير نصب في الميناء، وتضاء المنارات بمصابيح كثيرة تبرز الهلال الموجود فوقها، كما يرفع العلم الأبيض. وإلى جانب الأجواء الدينية من صلاة التراويح والتهجد، كان الصائمون، بعد تناول الإفطار المكون من الكسكس بالزيت واللحم المقلي والفواكه، يقبلون على السهر والاستمتاع بالموسيقى، ومشاهدة عروض الرقص و"القرقوز" طوال شهر رمضان. ولعل التأثير البارز للعثمانيين يظهر في إطلاق العدد الكبير من الطلقات للمدافع، وعروض القرقوز، وفي جانب العبادات ختم صحيح البخاري<sup>1</sup>.

يلاحظ أن "صحيح البخاري" دخل مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وقد أقبل الجزائريون على قراءته بشغف، خاصة في شهر رمضان أو عند حدوث اعتداء خارجي على البلاد. وكانوا يقرؤونه بحضور شيوخهم، الذين يتولون شرحه وتوضيح معانيه. وذكر "الزهار" أن ختم قراءة صحيح البخاري كان يعد من ختام شهر رمضان، حيث اشتهر أهل الجزائر بولعهم بروايته، رغم وجود روايات أخرى للحديث. كان كبار العلماء يقرؤونه دراسة تمحيصا، حيث تبدأ قراءته من أول رجب وتستمر إلى غاية أواخر رمضان، أي لمدة ثلاثة أشهر<sup>2</sup>.

في ظل الفصل الصارم بين الجنسين خلال العهد العثماني بمدينة الجزائر، واقتصار خروج النساء على حالات نادرة ووفق ضوابط الحجاب، أصبح الحمام أحد أبرز الأماكن التي تتاح فيها فرصة التعرف على النساء واختيار الزوجات<sup>3</sup>. وقد أشار وليام سبنسر إلى أن للحمام أغراض اجتماعية هامة زيادة على عملها التنظيفي<sup>4</sup>. ويكون الاختيار عبر الوساطات من طرف نساء المسنات لهن دراية كبيرة بهذه الأمور، لذلك كانت لهن مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، وتتلقى مكافأة كبيرة من قبل الخاطب في حال نجحت مهمتها<sup>5</sup>.

1. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 74.

2. الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشرف مدينة الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 181-182.

3. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 75.

4. وليام سبنسر، مصدر سبق ذكره، ص 112.

5. عبد الرحمان نواصر، مرجع سبق ذكره، ص 76.

## الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

كانت حفلات الزواج في الجزائر خلال العهد العثماني تتفاوت من حيث الشكل والمحتوى، تبعا للظروف الاقتصادية للعائلات، والانتماء الاجتماعي، إضافة الى الفوارق بين البيئة الحضرية والريفية. ففي الأوساط القبلية، كان عقد الزواج يتم ببساطة، حيث يكتفي الزوجان بتبادل كأس أمام الشهود، كدلالة رمزية على الارتباط. أما في المدن، وخصوصا في الأوساط البرجوازية العليا، فكانت حفلات الزواج تتميز بطابع احتفالي فاخر، مع تحضيرات دقيقة، وقد تمتد مراسمها لأكثر من سبعة أيام<sup>1</sup>.

### 2.2. التأثير الأندلسي:

حافظ الأندلسيون في الجزائر خلال العهد العثماني على تقاليد خاصة في الاحتفال بالمواسم الدينية، مثل المولد النبوي الشريف، وليلة القدر، وعاشوراء، وعيدي الأضحى والفطر، حيث كانوا يحرصون على إنشاد المدائح الدينية والقصائد في هذه المناسبات. كما عرفوا بشغفهم بالموسيقى والغناء في المناسبات الاجتماعية كالولادة، والختان، والخطبة، والزفاف، إذ كانت الأجواق الأندلسية تؤدي الموشحات والأغاني المصحوبة بدق الطبول، وضرب النوبة، وعزف الزرنة بإيقاع "داني داني" وهو لحن لا يزال معروفا في الأوساط الحضرية الجزائرية الى اليوم<sup>2</sup>.

كما حمل الأندلسيون معهم بعض العادات إلى الجزائر مثل صورة الكف "الخامسة" وهي من بعض الاعتقادات المسيحية التي رسخت في أذهان الموريسكيين، لأن الكف هي كف مريم البتول، وفي معتقداتهم تحمي من الأرواح الشريرة، وتطرد الشياطين. وقد تأثر أهل الجزائر بهذه العادة وهم إلى اليوم يصنعون الكف للمولود الجديد اعتقادا منهم أنه تحميه من العين الحاسدة والشياطين.

يتضح من خلال ما سبق، أن الوافدين إلى الجزائر خلال العهد العثماني سواء العثمانيون أو الأندلسيون، قد أسهموا بشكل كبير في تشكيل الملامح الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، لاسيما على مستوى العادات والتقاليد. فقد أثروا في أنماط اللباس، المطبخ،

1. وليام سبنسر، مصدر سبق ذكره، ص 117.

2. ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ....، مرجع سبق ذكره، ص 52.

### الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

الاحتفالات الدينية والاجتماعية. وقد امتزجت هذه التأثيرات الوافدة مع الموروث المحلي، لتنتج هوية ثقافية متميزة ظلت ملامحها حاضرة الى اليوم في الكثير من المظاهر الحياة اليومية.

خاتمة

يتضح لنا في ختام هذه المذكرة، أن الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830) لم تكن مجرد ولاية تابعة للخلافة العثمانية، بل كانت مجالا حيا لتفاعل ثقافي فقد استقطبت جماعات متعددة أبرزها العثمانيون والأندلسيون؛ إضافة إلى أهل الذمة، وكان لكل منها الأثر الواضح مهم في تشكيل بنية المجتمع الجزائري في تلك الحقبة.

تبين من خلال هذا البحث أن هذه الفئات لم تكن كيانات وافدة فحسب، بل اضطلعت بدور محوري في البناء الحضاري والثقافي، سواء من خلال الإسهامات في العمران، أو من خلال التأثير في اللغة والعادات واللباس والموسيقى، وحتى في بنية التنظيم الاجتماعي الديني، فقد شكل هذا التنوع مصدرا حضاريا هام، وساهم في ترسيخ روح التسامح والتعايش، رغم أن الفترة المدروسة أفرزت بعض الفوارق الطبقية والثقافية التي تبرز من حين لآخر.

لقد حاولنا من خلال الفصول الثلاثة تتبع هذه الحركات الاجتماعية والتاريخية، انطلاقا من دراسة الأوضاع العامة للجزائر قبيل العهد العثماني، مروراً بتحديد الفئات الوافدة وتحديد مكوناتها، وصولاً إلى إبراز التأثير العميق لهذه الفئات في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، الثقافية والسياسية. ولعل ما خلصنا إليه يؤكد أن الهوية الجزائرية تشكلت عبر امتداد زمني طويل من التفاعل والانفتاح، وأن استيعاب هذا التاريخ يساهم في إدراك الكثير من ملامح حاضرنا.

لقد أظهرت هذه الدراسة أن المرحلة العثمانية في الجزائر لم تكن مجرد امتداد لحكم عثماني، بل كانت فترة تحولات عميقة أثرت في مختلف جوانب الحياة، وخلفت آثارا لا تزال ماثلة إلى اليوم. ومن خلال تتبع الأوضاع العامة التي كانت سائدة قبل الدخول العثمانيين، تبين أن الجزائر عاشت اضطرابات سياسية واقتصادية وأمنية جعلتها عرضة للأطماع الأوروبية، مما دفع بالسكان للاستنجاد بالدولة العثمانية، في سياق إقليمي ودولي متغير، أتاح للعثمانيين بسط نفوذهم على البلاد.

كما كشفت الدراسة أيضا أن المجتمع الجزائري شهد خلال هذه المرحلة توافد فئات مختلفة، من العثمانيين والأندلسيين، وأهل الذمة، لكل واحدة منها مكانتها وأثرها في مختلف مجالات الحياة. فقد كان للعثمانيين الدور الأبرز في الجانب السياسي والعسكري، في حين مثل

الأندلسيون رافدا ثقافيا وحضاريا مهما، أما أهل الذمة فكان لهم حضور واضح خاصة في التجارة والحرف.

وفيما يخص تأثير هذه الفئات على الحياة الثقافية والعمرانية والاجتماعية، فقد بينت الدراسة أن الجزائر خلال هذه المرحلة عرفت نهضة عمرانية مميزة، حيث ظهرت أنماط جديدة في البناء والزخرفة، امتزج فيها الطابع المحلي بالتأثير العثماني والأندلسي، وهو ما أضفى على المدن الجزائرية طابعا خاصا لا يزال حاضرا في معالمها التاريخية.

وفي مجال التعليم والثقافة، اسهمت هذه الفئات بشكل فعال في إحياء المؤسسات التعليمية، عبر تأسيس الزوايا والمدارس ودور العلم، ما عزز من دورها بل أعاد إحياء الحياة الفكرية خصوصا في المدن الكبرى. كما كانت المساهمة متميزة في تطوير فن الخط، وإدخال أنماط من الخطوط؛ منها الخط العثماني والأندلسي.

وبفضل التأثير العثماني والأندلسي، تسربت بعض المفردات التركية والأندلسية الى اللسان المحلي، ما أفرز لهجة أكثر تنوعا وتركيبا، تشهد على هذا التفاعل الحضاري.

أما على مستوى العادات والتقاليد، فقد أدت هذه التأثيرات المتداخلة إلى ظهور أشكال جديدة من اللباس والمأكّل والاحتفالات، امتزجت فيها عناصر محلية بملامح وافدة، خصوصا في المدن الكبرى، مما ساهم في تشكيل نمط حياة جزائري متنوع ومتناسك في آن واحد.

وبذلك، يتضح أن الفئات الوافدة كانت جزءا من عملية تاريخية طويلة ساهمت في بناء ملامح الهوية الجزائرية، من خلال الاسهام في شتى مجالات الحياة. وقد شكلت هذه المرحلة محطة تأسيسية في مسار تطور المجتمع الجزائري، وأسهمت في إغنائه وتحسينه ثقافيا واجتماعيا، في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء.

وفي الأخير تبقى هذه الدراسة محاولة متواضعة لملامسة جانب من التاريخ الثقافي والاجتماعي للجزائر، ونأمل أن تفتح المجال أمام دراسات في المستقبل تكون أكثر أعماق وأشمل.

الملاحق

الملحق 01: جامع كتشاوة<sup>1</sup>.

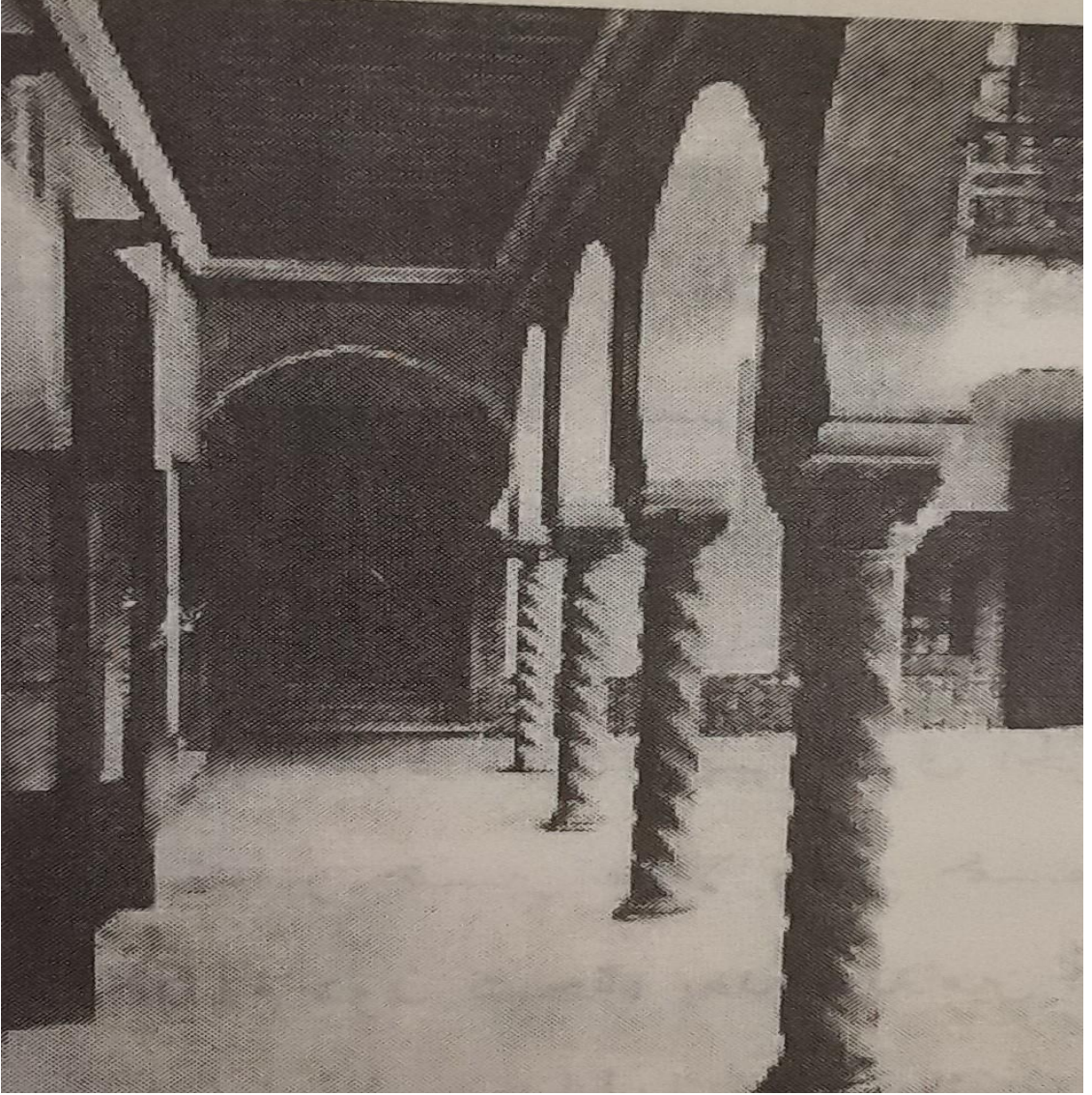


تمثل الصورة الشكل الخارجي لمسجد كتشاوة والذي تم بناؤه بتاريخ 1612م، في عهد خضر باشا

وقد أدخلت عليه تعديلات، كان آخرها سنة 2018م.

وهو إحدى المساجد الجزائرية التي بنيت بالطراز العثماني ومن بين المباني الدينية المتواجدة الآن في الجزائر المتأثرة بهذا الطراز.

1 - فاتح بلعمري، الحياة الحضارية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016/2017م، ص 379.



مدخل دار عزيزة حيث نلاحظ الساريات على الجهة اليمنى في الفناء، وهذا الطراز من الساريات يغلب على كثير من المباني التي تمثل الحضارة الإسلامية ليس في إيالة الجزائر فقط وإنما في مختلف البلاد الإسلامية، وقد استمر استخدام هذا النمط، في الجزائر سواء في الفترة الحديثة أو في الفترة المعاصرة، خصوصاً بعد استقلال الجزائر من ربة الاستعمار الفرنسي سنة 1962.

<sup>1</sup>. عمار عمورة، مرجع سبق ذكره، ص 206.

الملحق 03: دار مصطفى باشا<sup>1</sup>.



تظهر الصورة مدخل دار مصطفى باشا، وهو مثال على العمارة السكنية في القسبة خلال العهد العثماني. يتميز البناء بواجهة مزخرفة وبوابة خشبية كبيرة تعكس الطابع التقليدي الذي يجمع بين الخصوصية والفخامة، وهو ما يبرز تأثر العمران المحلي بالطابع العثماني.

<sup>1</sup> - عمار عمورة، مرجع سبق ذكره، ص 207.

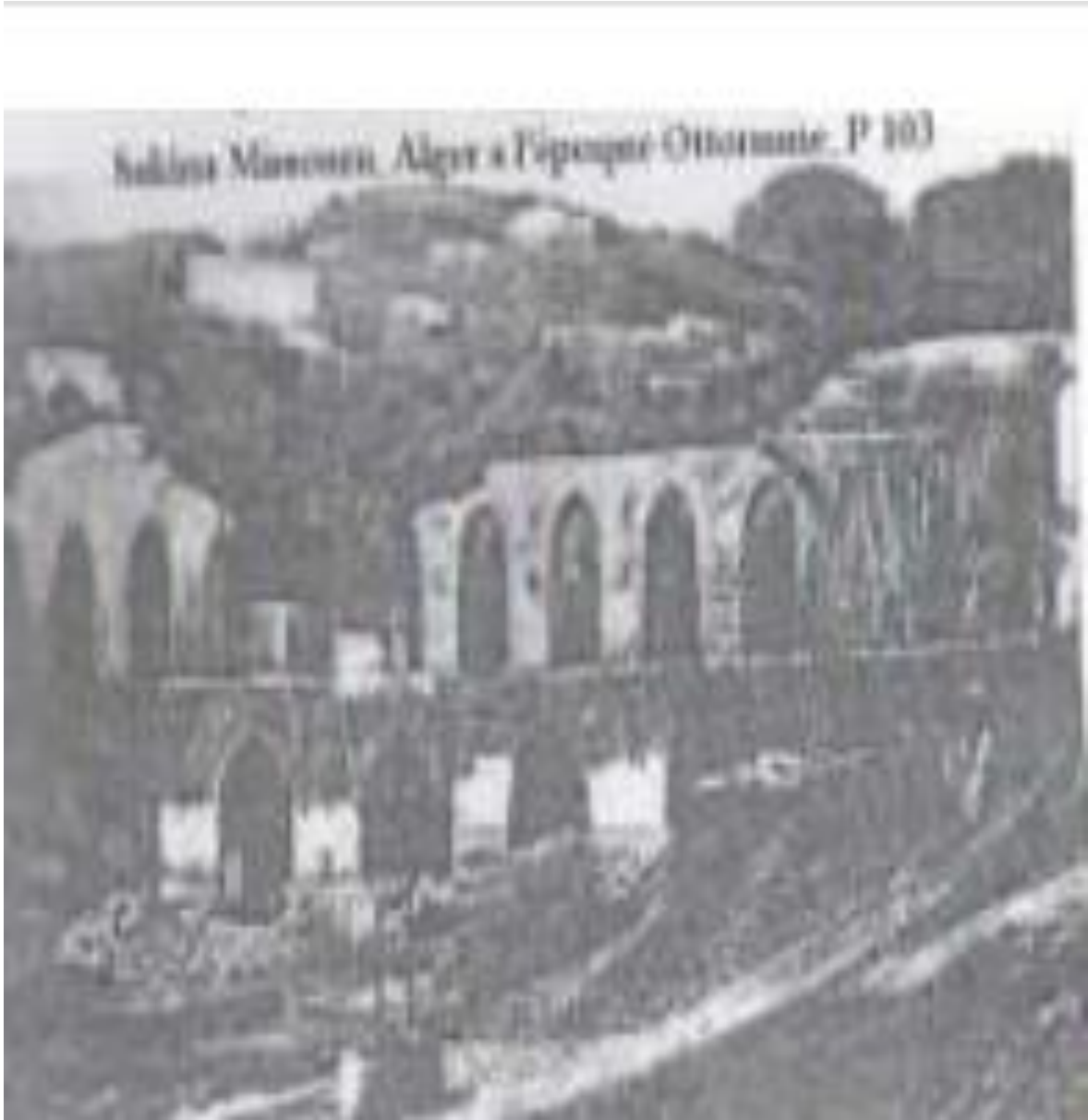
الملحق 04: حمام في الجزائر خلال العهد العثماني<sup>1</sup>.



تبرز الصورة مشهدا من داخل حمام تقليدي جزائري خلال العهد العثماني، حيث تظهر مجموعة من الأشخاص في فضاء معماري يتميز بالأقواس والزخارف. يعكس الحمام دورا اجتماعيا وثقافيا هاما، كما يظهر تأثير العمارة العثمانية على الفضاءات العامة في تلك الفترة.

<sup>1</sup> - عمار عمورة، مرجع سبق ذكره، ص 214.

الملحق 05: منبع الحامة من إنشاء أسطى موسى الأندلسي<sup>1</sup>.



<sup>1</sup>. مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 202.

الملحق 06: المرأة الأندلسية<sup>1</sup>.



تظهر الصورة نوعا من الباس التقليدي الذي ارتدته المرأة الأندلسية عند الخروج، ويتميز بتعدد قطعه وزخرفته، ما يعكس ذوقا رفيعا ورثه الأندلسيون ونقلوه إلى المجتمع الجزائري، فساهموا في تنوع الأزياء المحلية وتأثرها بالثقافة الأندلسية.



وهذا اللباس أيضا من أصول أندلسية وكانت ترتديه المرأة داخل المنزل ولا تخرج به.

<sup>1</sup> - مفيدة بن يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 203.

القائمة

البيبايوغرافية

## القرآن الكريم:

### المصادر:

### باللغة العربية:

1. جامس ليندر كاتكارت ، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا بالمغرب، ترجمة وتعليق وتقديم : إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
2. الوزان حسن ، وصف افريقيا، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
3. بربروس خير الدين ، مذكرات خير الدين ، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
4. فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
5. كاربخال مرمول ، افريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1989.
6. سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم : عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
7. شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816م . 1824م)، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

## المراجع:

### باللغة العربية

#### أ- الكتب:

1. ابن القيم الجوزية، احكام اهل الذمة، تحقيق وتعليق: ابي براء يوسف بن احمد البكري .  
وابي احمد شاکر بن توفيق العاروري، المجلد 1، ط1، رمادي للنشر، 1997.
2. احمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16م، شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.
3. احمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993.
4. ارزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م . 1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011،
5. بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات دراسة اجتماعية ابان الحقبة العثمانية، ج2، دار الكفاية، الجزائر، 2013.
6. بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470.1547م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986.
7. بلغيث محمد الأمين، فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الإسلامي، ط1، انتر سينيي، الجزائر، 2007.
8. بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر للهجري السادس عشر ميلادي، ج1، ط2، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2016.
9. بن سالم صالح، العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني، ج1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023.

10. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
11. بوعبدلي المهدي . ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
12. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
13. حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
14. حنيفي هلايلي، دراسات وابحاث في التاريخ الاندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010.
15. دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس(1512-1543)، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الاصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
16. دراج محمد، تأسيس ايالة الجزائر، مجلة عصور، العدد 17.16، جامعة وهران، ديسمبر 2010.
17. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م . 1830م)، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
18. سعيدوني ناصر الدين، دراسات اندلسية: مظاهر التأثير الايبيري والوجود الاندلسي بالجزائر، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، 2014.
19. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1518م . 1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
20. طوبال نجوى، يهود مدينة الجزائر خلال العهد الدايات 1700م . 1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية، منشورات سيدي نايل، 2009.

21. عبد الحميد بن ابي زيان بن اشنهو، دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
22. عزيز سامح التري، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة: د. محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت، 1989.
23. عمار عمورة . نبيل دواوة، الجزائر بوابة التاريخ : الجزائر عامة ما قبل التاريخ الى غاية 1962م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
24. عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 107.
25. عنان محمد عبد الله، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966.
26. فكاير عبد القادر، الصراع الجزائري الاسباني خلال القرن 10هـ/16م، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
27. فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية 910-1206هـ/1505-1792م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
28. فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
29. كعوان فارس، فئة الكراغلة في الجزائر العثمانية من الصراع على السلطة الى الادمج مقارنة سياسية اجتماعية (1596م . 1830م)، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2023.
30. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
31. محرز أمين، الجزائر في عهد الاغوات (1659م . 1671م)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013، ص 142.

32. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، دمشق، 1969.
33. المدني احمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.
34. المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية للطباعة والنشر، الجزائر، 1931.
35. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، ط2، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
36. نمر محمد الخليل نمر، اهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، د.س.

### ب- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. بن شامة سعاد ، المنشآت المعمارية الاثرية في مدينة البليدة خلال العهد العثماني، مذكرة لمقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008.
2. بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008/2007.
3. بن يوسف مفيدة، الجالية الاندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16م/17م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2011/2010.

4. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520.1830، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجبالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017.2018.
5. حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006.2007.
6. درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989/1990.
7. دكاني نجيب، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود فعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/2002.
8. رحموني عبد الجليل، اهتمامات المجلة الافريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520م 1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014/2015.
9. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005/2006.
10. شلبي شهرزاد، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني "المؤسسات المالية نموذجاً" (1798م 1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018-2019.
11. صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطبولي، بسكرة، 2007 / 2008.

12. طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008.2009.
13. عمريوي فهيمة، ظهور الاخوة بربروس في البحر المتوسط وارتباط الجزائر بالباب العالي، محاضرة مقدمة في إطار المحاضرات المقدمة في مقياس تطور النظام السياسي بالجزائر 1830.1519، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، 2024/2023.
14. عياشي بلقاسم، قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006.2007م.
15. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م . 1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج1، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001/2000م.
16. كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006/2007.
17. محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني (تاريخها، دورها، عمارتها)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015/2014.
18. مريخي رشيد، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا 1212 . 1220هـ/1798م . 1805م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، بوزريعة، 2010/2011.

19. معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه للعلوم في التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007
20. المليق عبد القادر، تأثير الثورات الموركسيين الاندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية (897. 1017هـ/1492م. 1609م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2013/2012.
21. ميمن داوود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية " تنظيمه وعدته " 1518-1830، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه للعلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015-2016.
22. نواصر عبد الرحمان، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1082 . 1246 هـ / 1671 . 1830م) مقارنة من خلال الوثائق الأرشيفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2017/2018م.

### ت-المقالات:

1. بعارسية صباح، أوضاع المغرب الأوسط في أوائل القرن السادس عشر، مجلة عصور الجديدة، عدد 25/24، جامعة وهران 1، احمد بن بلة، الجزائر، أكتوبر 2016.
2. بن الشيخ علي، العلم والثقافة في حاضرة بجاية خلال العهد الحمادي، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 13، العدد 2، أكتوبر 2022.
2. بن عتو بلبروات، الباي محمد الكبير - باي وهران 1779-1797: حياته وسيرته، عصور، المجلد 2، العدد 3، 2003.
3. حني محفوظ، اهل الذمة في ايالة الجزائر بين الاعتراف الديني والحرية الاقتصادية والتأثير السياسي، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 3.

4. حنيفي هلايلي، دراسات وابحاث في التاريخ الاندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010.
5. دباب زهية ، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 01، 2021.
6. رحمانى ابراهيم، مفهوم الذمة في الفقه الإسلامى، دراسة مقارنة، مجلة البحوث والدراسات، العدد8، 2009.
7. سعيود إبراهيم، تأثيرات الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 19، 2015.
8. شدرى معمر رشيدة، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518.1830م، مجلة معارف، العدد 20، 2016.
9. شوقي عبد الكريم، الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وظروف انطوائها تحت راية الخلافة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2021.
10. صديقي بلقاسم . توفيق دحماني، الزعمات المحلية بالجزائر وعلاقتها بالحكم العثماني (سالم التومي وابن القاضي نموذجا)، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد22، العدد01، 2022.
11. صديقي بلقاسم، هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب 15م. 17م : الدوافع والمراحل، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد05، 2017.
12. صفاح بوعلام، العائدات المالية لافتداء الاسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور الجديدة، المجلد11، العدد2، 2021.
13. طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700. 1830م) الهجرات وأماكن الإقامة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد03، 2013.

14. قسول عبد الحميد، اسهامات خير الدين بربروس (1518. 1543/950.924هـ) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق الدراسات الحديثة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد 08، العدد 01، 2023

15. لزغم فوزية، أثر الأندلسيين في الحياة العلمية والدينية والدبية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد خاص، 2022.

16. نفطي وافية، التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال فترة الحكم العثماني 1519.1830 العوامل والخصائص، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 3، 2022.

### باللغة الأجنبية

- 1- Albert devoux, les édifices religieux dans l'ancien Alger, Typographe Bastide, Extrait de la R A,1870
- 2- chahrazed chalbi, Manifestations of ottoman influence on the art of music in Algeria, Almuqadimah of human and social studies journal, volume 9, issue 1, 2024

# الفهرس

الاهداء

شكر والتقدير.

المقدمة ..... أ

**الفصل الأول: الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل العهد العثماني.**

المبحث الأول: أوضاع الدولة الزيانية في أواخر عهدها. .... 10

المبحث الثاني: الحملات الإسبانية على السواحل الجزائرية. .... 17

المبحث الثالث: الاستنجد بالإخوة بربروس والاتحاق بالدولة العثمانية. .... 26

**الفصل الثاني: الفئات الوافدة الى الجزائر خلال العهد العثماني.**

المبحث الأول: فئة العثمانيون. .... 37

المبحث الثاني: فئة الاندلسيين. .... 46

المبحث الثالث: اهل الذمة. .... 55

**الفصل الثالث: التأثير الثقافي للوافدين على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.**

المبحث الأول: التأثير على العمران والفنون. .... 66

المبحث الثاني: التأثير على العلم والآداب. .... 76

المبحث الثالث: التأثير على العادات والتقاليد. .... 85

الملاحق ..... 96

القائمة البيبليوغرافية ..... 103

الفهرس ..... 114

الحمد لله